أسس الفعل الأخلاقي عند سلافوي جيجك

إعداد

أحمد علي عرفات

أ.د / إبراهيم طلبه سلكها

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بكلية الآداب جامعة طنطا

ووكيل الكلية لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة

د / مختار عبد المنعم البسيوني

أستاذ فلسفة الأخلاق المساعد بكلية الآداب جامعة طنطا

المستخلص:

هدفت الدراسة الحالية إلى شرح "فلسفة الأخلاق عند سلافوي جيجك" لأنه يدعو للمساواة رافضا للظلم، فهو ينقد كل مساوئ عالمنا المعاصر، ويري أن هذه المساوئ نتيجة حتمية للرأسمالية، حيث تقوم فلسفة جيجك الأخلاقية بشكل واضح حول تحليله لمشكلة إنقسام (الواقع - الفضيلة). فهو يري أنه لا توجد أي صلة تقريبا بين ما يحدث بالفعل علي أرض الواقع وبين المثل الأخلاقية ، لذلك يعد جيجك من أكثر الفلاسفة ميلا إلي الحيادية والموضوعية في الحكم، فهو لا يتعامل بعنصرية عند تحليله للأزمات الكبري، ويحلل مختلف الآراء ووجهات النظر، ويدعو جيجك إلي زوال عالم القطب الواحد الذي تترأسه الولايات المتحدة الأمريكية حتي تتحقق العدالة ويعود الإستقرار لعالم اليوم الذي شارف علي الإنهيار وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة, ولقد ناقش جيجك مشكلة الحرية من منظور واقعي حيث أوضح أنه لا توجد أي حرية حقيقية في ظل النظام الرأسمالي الذي يجبر الأفراد علي الخضوع لمتطلباته التي لا تتوقف عن التغير دائماً وأبداً، أما الشيوعية فإنها تمنح نوعاً من الحرية أرحب مما تمنحه الرأسمالية بكثير، وإن النظام الشيوعي قد حاد قادته كثيراً عن مبادئ ماركس من أولئك القادة: جوزيف ستالين، ولو كان أولئك القادة قد إلتزموا مبادئ ماركس لكانت الشيوعية هي خير ممثل للحرية الإنسانية، أما فيما يتعلق بالحرية بمعناها المجرد، فإن جيجك يري أنه أفضل ما يستطيع الإنسان أن يفعله وسط عدد لا نهائي من البدائل هو ألا يفعل أي شئ علي الإطلاق, لأنه في الواقع ليست هناك حرية حقيقية.

الكلمات الإفتتاحية : أسس الفعل الأخلاقي , الأخلاق , فلسفة الأخلاق , سلافوي جيجك.

مقدمة:

لا شك في أهمية الأخلاق للإنسان عبر مراحل حياته المختلفة، لذلك إهتم بها الفلاسفة من وجهات نظر مختلفة، وقد إهتم بها الفيلسوف سلافوي جيجك في أعماله المختلفة وتناول تطور الأخلاق الماركسية وتبلور القيم في المذهب الشيوعي وبيئة الإلحاد وعلاقتها بالسلام ونشر التسامح وقبول الآخر وتجربة الإنسان وحيرته المتواصلة ومشكلة العنف بشكل عام وعند الجماهير بشكل خاص، وهذا ما سوف يوضحه الباحث عبر صفحات هذه الدراسة.

أولاً: بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون

إن فلسفة جيجك الأخلاقية تقوم بشكل واضح حول تحليله لمشكلة إنقسام (الواقع - الفضيلة)، فهو يري أنه لا توجد أي صلة تقريبا بين ما يحدث بالفعل علي أرض الواقع وبين المثل الأخلاقية. إن الإنقسام عند جيجك بوضوح هو إنقسام بين الأخلاق والأنطولوجيا، ويناقش جيجك علي الدوام فكرة الإنقسام بين ما هو كائن بالفعل وما يفترض أن يكون, يقول جيجك: "ما عاد كافياً سوق الفكرة الماركسية القديمة عن الهوة القائمة بين المظهر الخارجي للشكل الحقوقي الكوني والمصالح الخاصة التي تتولي عمليا وبالفعل مهمة دعمه وإدامته كما هو شائع عند النقاد اليساريين القويمين سياسياً، فالرأي المقابل الذي يقول إن الشكل ليس "مجرد" شكل أبدا بل ينطوي علي آلية دينامية تخصه تترك آثارا في التركيبة المادية للحياة الإجتماعية، ذلك الرأي الذي إجترحه منظرون مثل ليفور ورانسيير رأي وجيه مئة في المئة وله صدقية عالية ويصيب رانسيير حين يؤكد الغموض الجذري للفكرة الماركسية للهوة الفاصلة بين الديموقراطية الشكلية بخطابها عن حقوق الإنسان والحرية السياسية من جهة وواقع الإستغلال والتحكم الإقتصاديين من جهة ثانية".[١]

ونجد أن جيجك يفترض القرابة الوثيقة بين الأخلاق والأنطولوجيا مطلقاً عليهما إسم "الإستجواب المتبادل"، إلا أنه يوجد تناقض بينهما أيضاً وهو يحلل هذا التناقض الصريح بالرجوع إلي لاكان وقوله بالإنقسام بين الحقيقة والواقع، حيث أن الحس المشترك "الحقيقة" يشير إلي إحساس الفرد أو إرتباطاته الموضوعية، في الواقع يوجد إنقسام بين الواقع والمثل الأخلاقية إلا أن لكليهما مصدر واحد فهما مشتركين في الأساس ولا يمكن فصلهما تماماً ولا أن ينطبقا إنطباقاً تاماً، يقول جيجك: "يوجد تناقض خارجي يجري تحويله إلي تناقض، وهو داخلي بالنسبة إلي التجاوز نفسه بين تجاوزات خاصة والتجاوز المطلق الذي يبدو نقيضه القانون الكوني الشامل".[٢]

إن النقطة المحورية للحياة الأخلاقية بالنسبة إلي جيجك، وباديو، ولاكان تتجسد في رفض التراجع وبقاء المرء مخلصا بعناد لرغباته في حال دفع الرغبات إلي أقصاها، كما عند أبطال التراجيديا اليونانية يمكن للمرء أن يتألق، وبذا فإن أيقونة لاكان العظيمة هي أنتيغون التي رفضت المساومات وثمة ما هو خطير وجذاب كذلك، في مثل هذه الأخلاقيات إنها رؤية تتيح لجيجك الدفاع عن فكرة الثورة مع رفض الإرهاب الثوري، وبخصوص حالة ستالين كما يقول "لم تكن

---

(١) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - قطر - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - الطبعة الأولي – ٢٠١٧ - ص ١٥٢

(٢) المصدر نفسه ص٦٩

القضية متعلقة بتطرفه، ولكن بكونه ليس ثورياً بما يكفي وفيما لو كان كذلك ما كان الإرهاب السياسي ليكون ضروريا".[١]

يقول جيجك: "ماذا لو كنت كاذبا وتدعي بأنك تفكر مثلي فحسب؟ كلما إتفقت معي سيزداد الخطر بالنسبة إليك بالمفارقة إننا نشترك مع التشاؤمات النقدية ما بعد الحداثية بخصوص التركيز علي اللابشري، ففي الأيديولوجيا ما بعد الحداثية عن "اللابشري" يكون اللابشري إفراطا مرعبا يجب تجنبه حتما ويمكن لهذه الأيديولوجيا أن تستعير فكرة أو مظهرا محددا من لاكان، هناك ميثولوجيا المرعب هذه لا ينبغي عليك الإقتراب كثيرا من النار بل يجب أن تحافظ علي المسافة الصحيحة. تلك الفكرة بأننا كما عند إدجار آلان بو نعيش في عالم علي حافة الهاوية وبأن الأمر متعلق بمجرد الحفاظ علي المسافة الملائمة ليس للتصرف وكأن الشر الراديكالي غير موجود، ولكن للتأكد من أنك لن تنجذب إليه فحسب وبالطبع هذا هو المعاكس التام لما نطرحه عن اللابشري: اللابشري كفسحة لإعادة التعريف.[٢]

يقدم مأزق إستهلاكية اليوم حالة واضحة للتمييز اللاكاني بين اللذة والمتعة ما يطلق عليه لاكان "متعة" هو فائض مميت أكثر منه لذة، موضعه موجود فيما وراء مبدأ اللذة، بكلمات أخري فمصطلح (المتعة الفائضة - أو المفرطة) هو حشو طالما كانت المتعة نفسها مفرطة مقارنة باللذة التي هي بالتعريف معتدلة ومضبوطة بمعيار محدد, بالتالي لدينا حدان متطرفان من جانب معتنق اللذة المستنير الذي يحسب اللذات بحرص ليديم مرحه ويتجنب أن يصاب بالأذي، وعلي الجانب الآخر هناك المستمتع الكامل المستعد ليستهلك وجوده كله في إفراط مميت للمتعة أو بمصطلحات مجتمعنا، فهناك المستهلك الذي يحسب لذاته والمحمي جيدا من كل أنواع التحرشات والتهديدات الصحية، وعلي الجانب الآخر هناك مدمن المخدرات (أو المدخن) الذي يميل للهدم الذاتي، المتعة لا تساعد علي شئ والجهد الكبير لمجتمعنا اللذّي - النفعي "المتسامح" المعاصر ينصب علي ربط هذا الفائض غير القابل للحساب إلي مجال الحسابات.[٣]

بشكل مشابه طور لي إيديلمان فكرة المثلية الجنسية كمتضمنة لآخلاقيات "الآن" للإخلاص غير المشروط ل"المتعة" بإتباع غريزة الموت عن طريق التجاهل التام لأي إشارة للمستقبل أو الإرتباط بأي عقدة عملية للشئون العالمية، المثلية الجنسية تمثل القبول التام لسلبية غريزة الموت للإنسحاب من الواقع إلي واقع "ليل العالم" فيما يشبه ذلك يواجه إيديلمان الأخلاقيات الراديكالية للمثلية الجنسية مقابل الهوس المهيمن للذرية (أي الأطفال): الأطفال هم اللحظة "الباثولوجية" التي تجبرنا علي التفكير البراجماتي وتلزمنا بخيانة أخلاقيات المتعة الراديكالية.[٤]

الإستنتاج الأول الذي نخرج به من هذا هو أنه علينا أن نرفض الإفتراض الشائع بأنه وفقا لهذا - في المجتمع اللذي الإستهلاكي - فكل شخص لديه شئ يستمتع به، الوظيفة الأساسية للذة الإستهلاكية المستنيرة علي العكس تجرد الإستمتاع من بعده المفرط من فائضه المزعج من حقيقة أنه لا يساعد علي شئ، المتعة يتم التسامح معها هي مطلوبة ولكن تحت شرط أن تظل صحية وألا

(١) آلان باديو وسلافوي جيجك: **الفلسفة في الحاضر** – بيروت – دار التنوير – الطبعة الأولي – ص ١١٧
(٢) المرجع نفسه ص ٨١
(٣) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** - بيروت - دار التنوير - الطبعة الأولي – ٢٠١٣- ص ٥٧
(٤) المصدر نفسه ص ٥٨

تهدد إستقرارنا النفسي والجسدي, الشيكولاته، نعم ولكن خالية من الدهون، الكولا نعم ولكن دايت، المايونيز نعم ولكن بدون كوليسترول، الجنس نعم ولكن جنس آمن.(١)

نحن هنا تحت سيطرة ما يطلق عليه لاكان خطاب الجامعة كمواجه لخطاب السيد, السيد يعمل للنهاية في إستهلاكه، غير مقيد بالإعتبارات النفعية التافهة (هذا هو سبب أن هناك تشابها شكليا محددا بين السيد الأرستقراطي التقليدي ومدمن المخدرات المنغمس في متعته المميتة)، بينما لذة الإستهلاكي مضبوطة بالمعرفة العلمية المنشورة عن طريق خطاب الجامعة، المتعة المنزوعة الكافيين التي نحصل عليها بالتالي هي شئ مشابه للمتعة لا واقعها وهي – بالطريقة نفسها التي تحدث عنها لاكان – محاكاة للمتعة في خطاب الجامعة أحد أنماط هذا الخطاب هو تعدد المقالات في المجالات الشعبية التي تدافع عن الجنس كشئ مفيد لصحتنا النشاط الجنسي يتم التعامل معه كالجري، يقوي القلب، يريح الأعصاب، حتي التقبيل مفيد لصحتنا.(٢)

إحتفاء مشابه للحيوية اللاجنسية موجود بوفرة في الستالينية، علي الرغم من أن التحريك الشامل أثناء خطة السنوات الخمس الأولي كان يميل لمواجهة الجنسانية بإعتبار أنها الحصن الأخير للمقاومة البرجوازية، ولكن هذا لم يمنعها من محاولة إستعادة الطاقة الجنسية من أجل تجديد النضال من أجل الإشتراكية، في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي كان يتم الإعلان عن عقاقير متنوعة في الإعلام السوفييتي بشكل مشابه ففي المجتمعات الغربية اليوم، نحن نري تصويرا للمشروبات المحتوية علي الكافيين علي أنها - من المفترض أن - تقدم لنا جرعة قوية من الطاقة.(٣)

كيف يكون الظهور للأيديولوجيا كنظيرها, لا أيديولوجيا ممكنا؟ إنه يتوقف علي تحول في النموذج السائد للأيديولوجيا في عصرنا ال "ما بعد أيديولوجي" المزعوم، تشتغل الأيديولوجيا أكثر فأكثر في طريقة "فيتيشية" كمناقض لنموذجها التقليدي العرضي، في النموذج الأخير الكذبة الأيديولوجية التي تبني تصورنا عن الواقع مدمرة بأعراض توصف ب "عائدات الكبح" يتحطم في بناء الكذبة الأيديولوجية، بينما الصنم بشكل فعال هو نوع من خلفيات العرض، هذا يعني أن العرض هو الإستثناء الذي يقلق سطح الظهور المزيف، الفكرة التي ينفجر عندها كبت مشهد آخر بينما الصنم هو تجسيد للكذبة التي تسمح لنا بتغذية الحقيقة الغير محتملة خذ حالة موت شخص محبوب: في حالة العرض أنا "أكبح" هذا الموت أحاول عدم التفكير به، لكن ألم الكبح يعود في العرض، في حالة الصنم علي العكس "علي نحو منطقي" أقبل كليا الموت، وكذلك أتشبث بالصنم كهيئة تشخص بالنسبة لي إنكار الموت، بهذا المعني يمكن للصنم أن يلعب دوراً بناء من خلال السماح لنا بالتغلب علي الواقع القاسي، ليس الفيتيشيون أناسا حالمين فشلوا في عوالمهم الخاصة، إنهم متطرفون واقعيون قادرون علي قبول الأشياء كما هي لأنهم بالتمسك بصنمهم قادرين علي تسكين الصدمة الكلية للواقع.(٤)

---

(١) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص ٥٧

(٢) الموضع نفسه

(٣) الموضع نفسه

(٤) سلافوي جيجك: **"بداية كمأساة وأخري كمهزلة"** – لندن – طوي للثقافة والنشر والإعلام – الطبعة الأولي - ٢٠١٥- ص ١٠٣

ثانياً: الاخلاق الماركسية

لقد توصل كارل ماركس إلي الشيوعية لدواعي الحرية لا لدواعي الأمن، لقد بحث في سنواته الأولي عن تحرير نفسه من القسر الذي تمارسه الدولة البوليسية الألمانية المتوسطة ورفض الرقابة التي فرضتها ورفض إعلاءها من شأن السلطة والدين ورفض نزعتها المادية الفجة الثقافية وحديثها الأجوف عن المصلحة القومية والواجب الخلق، ولقد إعتقد فيما بعد أن مثل هذه الضغوط وعدم الإستقلال الإنساني مما لا يمكن تقويضه بدون تقويض الرأسمالية والنظام الشامل للملكية الفردية الذي منه نمت الرأسمالية.(١)

لقد رسم ماركس صورة لمجتمع الشيوعية ولمجتمع الحرية الإنسانية الحقة والقصوي، ولقد سمي النقاد المتعاطفون هذه الصورة صورة مجتمع الفنانين الذين يخلقون بحرية ووعي، ويعملون معا في تناغم كامل ولقد آمن ماركس بأنه في هذا المجتمع لن تكون هناك دولة ولا مجرمون ولا صراعات وكل إنسان سيجري "إلتقاطه" في العمل الإنتاجي مع الآخرين وسيكون الصراع صراعا عاما مشتركا، ولن يجد الإنسان في عمله أو في الآخرين عدم الإستقلال وعدم اللطافة، بل سيجد الحرية والسعادة علي النحو الذي يجد فيه الفنانون الإلهام في عملهم الفني وفي عمل غيرهم من الفنانين، ومن الحق أن الناس الأحرار لن يحتاجوا هكذا إلي أية قوانين مفروضة عليهم من أعلي ولا أيه تحريضات خلقية لكي يقوموا بواجبهم ولا أية (سلطات) تقرر ما يجب فعله, فالفن لا يمكن خلقه وفق خطط مفروضة من خارج، فهو لا يعرف أية سلطات ولا أي نظام سوي سلطة ونظام الفن نفسه. وهذا النظام وهذه السلطة إنما يتقبلها كل فنان بحرية ووعي، وهذا وحده هو ما يجعله فنانا فلا أية سلطة حكومية ولا أي نصير أو حام يمكن أن يجعله فنانا وماركس يعتقد أن ما هو حق بالنسبة للفن حق بالنسبة لكل العمل الإنتاجي الحر.(٢)

ولذلك يري سلافوي جيجك أن الأصوليون يقومون (بناءا علي ما يرون) بأفعال خير تنفيذا لمشيئة الرب ليكونوا جديرين بالخلاص، ويقوم الملحدون بها ببساطة لأن ذلك هو الشئ الذي يصح فعله، ألا يشكل ذلك الأساس لأكثر تجاربنا الأخلاقية؟ حين أقدم علي عمل الخير فأنا لا أفعل ذلك منتظرا الفوز بإستحسان الرب، بل أفعله لأنني لا أستطيع أن أفعل العكس, فلو فعلت لما أستطعت أن أنظر إلي صورتي في المرآة، فالفعل الأخلاقي هو نفسه تحديدا يتضمن مكافأته، لقد قام أستاذ الإقتصاد والفيلسوف ديفيد هيوم بطرح هذه الفكرة بطريقة بالغة الحدة حين كتب أن الأسلوب الوحيد للتعبير عن الإحترام الحقيقي للرب هو التصرف علي نحو أخلاقي مع تجاهل وجود الرب.(٣)

إن لدي ماركس رغبة عارمة للإيمان بأن البروليتاريا في بؤسها تتوق للمبادرة والمشروع والحرية وأنها ترفض الخنوع والإنحصارية في المهنة والإهتمام بالأمن تماما علي نحو ما يرفضها ماركس، إنها لا يمكن أن ترتشي بظروف متحسنة، بآمال عن جوائز أثمن أو ب (فرص) للفرد لتحسين وضعه، لكن ماركس لم يكن مستعدا لكي يجعل من مثل هذا المطلب جزءا من نظريته، ويري الإشتراكية علي أنها إمتداد وتتويج للحرية والمشروع الذين يظهرهما العامل، إنه يتمسك أساسا بنظرته السالبة للبروليتاريا علي أنها "أكثر الطبقات معاناة"، طبقة تحدد مستقبلها لا

(١) أوجين كامنكا:**"الأسس الأخلاقية للماركسية"** - القاهرة - المركز القومي للترجمة - ٢٠١١ - ص ٥
(٢) المرجع نفسه ص ٦
(٣) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ١٣٨

بطبيعتها بل بحرمانها، ولقد حال هذا بينه وبين توجيه إنتباه جاد للحرية والمشروع كتراثين تاريخيين يعملان في أي مجتمع يتدعمان ولا يضعفان بالضرورة في الصراع ضد الشدائد.[١]

لقد حال هذا بينه وبين رؤية أهمية الأشكال الأخري للإنتاج والتجليات الأخري للروح المنتجة في الحياة الإجتماعية للإنتاج الفني والعلمي مثلا كتراث مستمر قادر علي مساعدة وتدعيم الروح المنتجة في الصناعة، وبدلا من هذا إختار ماركس أن يعتمد علي التاريخ وأن يزود البروليتاريا برؤية عن المجتمع اللاطبقي الذي يؤمن الخيرات، حيث يجري ضمان المشروع والحرية عن طريق الأسس الإقتصادية للمجتمع نفسه حيث لا تقوم الحرية في الصراع، بل تنتج من مجرد الوجود نفسه، إنه تصور خانع يستجيب - علي أيه حال دون تيقظ من جانب ماركس - لمطالب الأمن والكفاية والتطلع إلي عوائد معينة، ولقد تدعمت طبيعة هذا التصور الخانع أكثر بأن أنجلز - بعمائه عن رؤية الإغتراب، وبنظريته الفجة في النشوء والإرتقاء وإهتمامه النفعي بالإشباع الإقتصادي - أصبح هو (المنظر الأيديولوجي) - الذي أشاع الماركسية وقام بعمل الدعاية لها.[٢]

ويسائل سلافوي: ألا تشير ظواهر تنسب إلي الرأسمالية الإفتراضية (الصفقات التجارية المستقبلية وجملة المضاربات المالية المجردة) إلي "التجرد الفعلي" في أنقي صوره التي تتجاوز بدرجة لا تقبل المقارنة, ما كان في زمن ماركس؟ بإختصار لا يكمن الشكل الأسمي للأيديولوجيا في الوقوع أسيرا لطبقة أيديولوجية ناسيا أساسه في الناس الفعليين وعلاقاتهم, بل يكمن تحديدا في تجاوز فعلية هذه الطيفية وفي التظاهر بمخاطبة "أناس فعليين ومعرفة هواجسهم" علي نحو مباشر، فزوار بورصة لندن يحصلون مجانا علي كراس يبين أن سوق البورصة لا يتناول تقلبات ملغزة، بل أناسا فعليين.[٣]

ويري سلافوي أن ماركس لا يزال ماركس معروفا للغاية بسبب كتاباته السياسية والإقتصادية في مرحلة نضجه التي نشرت إبان حياته، وهذه الكتابات وهي وحدها التي تشكل الكيان الشائع لعمل ماركس وظلت هذه الكتابات تتناثر علي نطاق واسع في الترجمات الإنجليزية، ولكنها ليست كافية لأي فهم شامل إستيعابي لماركس وفكره، فالباحث الأخلاقي بصفة خاصة لابد أن يدخل في حسبانه كتاباته ومذكراته ومسوداته الأولي المصطبغة بصبغة فلسفية أكثر والتي لم يهدف إلي نشرها كما هي والتي كتبها بين الحين والآخر إبان حياته، إن كتابات ماركس الناضج مشهورة ببعدها عن أي إهتمام مباشر بالمشكلات الأخلاقية أو الفلسفية، وفي الكتابات الأولي والمسودات الخاصة وحدها يمكننا أن نجد المفتاح لآرائه الأخلاقية ومكانتها المحيرة في معتقداته الناضجة.[٤]

إن العلاقة بين الماركسية وفلسفة الأخلاق غالبا ما يجري تناولها تلميحا ونادراً ما يجري إستكشافها، والمجادلات التي دارت حولها لم تقدم إلا أحكاما أو إستضاءة واهنة فيما يخص المسائل المتضمنة فيها وهي بهذا - بصفة عامة - لم تضوئ الماركسية أو فلسفة الأخلاق وماركس نفسه لم يكتب أي شئ مخصصاً بشكل مباشر للمشكلات الفلسفية الخلقية، فلا نجد بالفعل تحليلاً نقدياً لمعني المصطلحات الخلقية أو أساس التفرقات الأخلاقية، ولا نجد بالفعل أنه تناول

---

(١) أوجين كامنكا: مرجع سابق- ص٨

(٢) الموضع نفسه

(٣) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ٢١

(٤) أوجين كامنكا: مرجع سابق - ص ١٠

بعناية مفهوم الإلزام الخلقي أو معيارا لتمييز المطالب الخلقية عن غيرها من المطالب، لكن من المؤكد أنه رفض بالفعل تصور فلسفة الأخلاق بإعتبارها علما معياريا، لقد أنكر بالمرة وجود "قيم" و "معايير" و "مثل" وراء أو خارج العالم التجريبي للوقائع.(١)

ولقد إعتز بأنه لم يسأل ما (يجب) أن يكون، بل تسائل عما هو (كائن) ومع هذا فإن الأجوبة التي أدلي بها علي تساؤله قد لاحت في أعين عدد كبير من تلامذته ونقاده، أنها أخلاقية ودعائية، أخلاقية أو دعائية بشكل ضمني، وقد سمي الإقطاع حالة من حالات القيد ووصف سلخ العامل من إنسانيته في ظل الرأسمالية في إطار يذكر بشكل بارز بالكتابة الأخلاقية، ولقد وحد بين الذروة التجريبية للتاريخ وظهور العلاقات الإنسانية "العقلانية" و "المعقولة حقا"، إن عديداً من "التناقضات" التي تلعب دوراً كبيراً في عرضه للرأسمالية إنما تتضح "بالتناقضات" الخلقية، والمنطقية علي السواء، ويبدو أن حياته وعمله إنما يظهران وحدة من النظرية والتطبيق، العلم والدعاية، مما يميز النظرة الكلية الأخلاقية أكثر مما يميز "القيمة الحرة" الوصفية للعلم، ويبدو أن تلامذته غير متأكدين ما إذا كان ماركس قد أضفي طابعاً ثورياً علي أسس فلسفة الأخلاق أم أنه أظهر أنه لا يمكن أن تكون لها أسس ما.(٢)

ولعل التأثير الكبير لماركس علي جيجك لم يتمثل فقط في كونه إبنا لشيوعيين سلوفينيين, وأنه يعتبر نفسه آخر ممثلي الشيوعية، ولا حتي مهاجمته الصريحة لسلبيات الرأسمالية أو إيجابيتها, حيث أنه يفندها من أساسها في الأصل علي الإطلاق، ولكن في كونه لم يولي الجانب الأخلاقي إهتماما يذكر في فلسفته عموماً، فهو قد دأب علي نقد سياسات العالم المعاصر الذي - كما يراه - لم يعد يترك حيزاً أو مجالا لحرية فردية تتحقق في نطاقها الأخلاق. إن جيجك يرانا محكومون بالمادة مستعبدون لرأس المال، وإذا كان ماركس الأستاذ قد دافع عن حقوق العمال في زمانه، فإن جيجك يدافع عن حقوق الأفراد جميعا في زماننا نحن.

إن الرأسمالية العالمية تخلخل الديموقراطي، ولكن بدلا من تحديد الإستنتاج المنطقي الوحيد، أنه علينا أن نبدأ في التفكير في كيفية توسيع الديموقراطية فيما وراء شكل الدولة متعددة الأحزاب التي فشلت بوضوح في مناسبة النتائج الهدامة للحياة الإقتصادية العالمية تعبر عن نمط "للخلف در" غريب من أجل تحويل اللوم علي المتظاهرين أنفسهم تحديداً الذين بدءوا في طرح هذه الأسئلة ذاتها، الفقرة الأخيرة تستحق أن تعاد قرائتها بحرص طالما أن الإقتصاد العالمي هو فيما وراء منظور السياسات الديمقراطية، فأي محاولة لتوسيع الديموقراطية من أجل إعتناقها ستسرع فحسب من إنهيار الديمقراطية، ما الذي يمكننا فعله بالتالي؟ إعادة الإرتباط بالنظام السياسي القائم الذي هو في الحقيقة غير قادر علي القيام بهذا العمل.(٣)

لذلك يري سلافوي أنه يجب علينا أن نمضي في الطريق كله حتي النهاية، لا يوجد نقص في العاطفة المعادية للرأسمالية اليوم، إن كان هناك شئ محملون به بشكل متضاعف فهو إنتقادات فظائع الرأسمالية الكتب والتحقيقات الصحفية العميقة والتقارير التليفزيونية ممتلئة بتحقيقات عن الشركات التي تلوث بيئتنا بتهور والبنكيين الفاسدين المستمرين في الحصول علي زيادات ضخمة بينما بنوكهم يجب أن تنقذ من المال العام ومصانع الكدح حيث يعمل الأطفال وقتا مضاعفاً وهكذا، هناك علي أي حال شئ نضع يدنا عليه في كل هذا ما يمضي بطبيعة الحال بدون أن يساءل- برغم

(١) المرجع نفسه - ص ١٤
(٢) أوجين كامنكا: مرجع سابق - ص ١٥
(٣) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص٩٦

التهور الذي ربما يبدو عليه - هو الإطار الديمقراطي اليبرالي كوسيلة للمواجهة ضد الإفراطات، الهدف (الواضح والمتضمن) هو دمقرطة الرأسمالية لمد الرقابة الديموقراطية علي الإقتصاد خلال ضغط الإعلام الجماهيري والطلبات البرلمانية والضبط الأقوي وتحقيقات الشرطة الأمينة وهكذا، ولكن الذي لا يخضع للتساؤل أبدا هو الإطار الديموقراطي المؤسسي لدولة القانون (البرجوازية) ذاته يظل هذا هو البقرة المقدسة التي لا تجرؤ حتي الأشكال الأكثر راديكالية من "معاداة الرأسمالية الأخلاقية" هذه علي مواجهتها.[١]

هنا تظل رؤية ماركس الرئيسية اليوم أكثر من أي وقت مضي بالنسبة لماركس لا يجب أن يوضع سؤال الحرية أساسا في المناخ السياسي الصالح هل في البلد حرية إنتخابات؟ هل القضاة مستقلون؟ هل الصحافة حرة من الضغوط المختبئة؟ هل يتم إحترام حقوق الإنسان؟ ... إلخ المدخل الحقيقي للرسالة يقع بالأحري في شبكة العلاقات الإجتماعية من السوق إلي الأسرة، حيث يكون نوع التغيير المطلوب إن كنا نريد تقدماً حقيقياً ليس في الإصلاح السياسي، ولكن في تغيير علاقات الإنتاج الإجتماعية "غير السياسية"، نحن لا نصوت علي من يملك ماذا أو علي العلاقات في مصنع وهكذا، لأن كل هذا يعتبر خارج نطاق السياسي، ومن المتوهم أن نتوقع أن المرء يمكنه تغيير الأشياء عن طريق "مد" الديمقراطية إلي هذا النطاق، عن طريق قل تنظيم البنوك "الديمقراطية" تحت رقابة الشعب، التغييرات الراديكالية في هذا النطاق يجب أن تتم خارج نطاق "الحقوق القانونية" إلخ لا يهم كم هي معاداتنا للرأسمالية الراديكالية، لو لم يتم فهم ذلك فالحل المرجو سيدور حول تطبيق ميكانيزمات ديمقراطية (التي هي بالطبع يمكن أن يكون لديها دور إيجابي لتلعبه).[٢]

ويذهب سلافوي إلي أنه علي المرء ألا ينسي أن هذه الميكانيزمات التي هي ذاتها جزء من كيان الدولة "البرجوازية" يضمن التوظيف غير المزعج لإعادة الإنتاج الرأسمالي اليوم يضع باديو يده علي هذه النقطة في زعمه الغريب الواضح بأن "اليوم" لا يطلق علي العدو الإمبراطورية أو رأس المال إنما يطلق عليه الديموقراطية إنه "الوهم الديموقراطي" قبول أن الإجراءات الديموقراطية هي إطار العمل الأساسي لأي تغيير ممكن، هذا الذي يمنع أي إنتقال في العلاقات الرأسمالية، هناك بالتالي أسباب عميقة للصعوبة القائمة في تشكيل برنامج ثابت، ولكن المتظاهرين لفتوا النظر لمشكلتين رئيستين أولاً النتائج الإجتماعية الهدامة للنظام الرأسمالي العالمي، مئات المليارات فقدت بسبب المضاربة المالية غير المسيطر عليها وهكذا، ثانياً العولمة الإقتصادية تخلخل تدريجيا شرعية الديموقراطيات الغربية بإتخاذها الصفة الدولية، فالعمليات الإقتصادية واسعة المدي لا يمكن أن يسيطر عليها بالميكانيزمات الديموقراطية التي هي مقتصرة بطبيعة الحال علي الدول الوطنية، لهذا السبب يختبر الناس بشكل متزايد كون المؤسسات الديموقراطية فاشلة بمصطلحات التعبير عن مصالحهم الحيوية.[٣]

فالتوترات التي يظهر أنها كامنة تحت سطح أعمال ماركس التي ربما كان لديه حل متماسك لها قد إنفجرت علي شكل تفككات فظة في الأعمال (الفلسفية) عند مشاركة تلميذه البارز فريدريك أنجلز، إن "المؤسس المشارك" للماركسية إنما يؤكد في أن جميع الأحكام الخلقية نسبية وأن الأخلاقيات في الواقع قد تقدمت، إنه يرفض جميع القيم الخلقية المطلقة ومع ذلك يتنبأ بظهور (أخلاقيات إنسانية حقة), وتحت تأثير نفوذه تذبذب الماركسيون القطعيون من يأس بين الإعتقاد

(١) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص ٩٦
(٢) المصدر نفسه ص ٩٧
(٣) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص٩٧

بأن الماركسية هي علم (حر القيمة) يقوض الأساس عينه للنزعة الخلقية ويعرض للمطالب الخلقية علي أنها لا تزيد عن كونها مصالح إقتصادية متخفية، والإيمان بأن الماركسية هي أكثر وجهات النظر الكلية تقدماً وإنسانية وأخلاقية.(١)

ويري سلافوي أنه من الزيف أن نتصور - كما هو حادث علي نطاق كبير - من داخل الأخلاق وخارجها أن الماركسية والإشتراكية متطابقتان علي هذا النحو، وذلك لأن الماركسية - من الناحية المنطقية - منظورا إليها كمذهب علمي، وبعيدا عن تأثيرها التاريخي ليست سوي نظرية لقوانين حركة المجتمع، وقد صبت في صيغ بشكل عام في إطار التصور الماركسي للتاريخ، إنها إقتصاد ماركسي مطبق بصفة خاصة علي حقبة فيها المجتمع ينتج السلع.(٢)غير أن البصيرة بصدق الماركسية التي تتضمن بصيرة بضرورة الإشتراكية، ليست بأية حال من الأحوال مسألة أحكام للقيمة تماما علي نحو عدم تضمنها إلا بشكل واهن للسيرورة العملية، فإدراك الضرورة شئ والعمل من أجل هذه الضرورة شئ آخر، ومن الممكن تماماً لشخص ما مقتنع بالنصر النهائي للإشتراكية أن يحارب ضدها.(٣)

لقد أصبحت الماركسية عقيدة وهي شأن المسيحية تتحدث بإسم مؤسسها بشكل أكثر مما تتحدث بصوته، وإن نصوصها المقدسة - "الكلاسيكيات العظيمة للماركسية اللينينية" - ليست قاصرة علي كتابات ماركس، فإن أشد نتائجها عمومية وأشد تعاليمها بساطة ليست من صياغته، لقد إرتفع صديق عمر ماركس ومشاركه فريدريك أنجلز (وقام هو بجانب من هذا) إلي مصاف المؤسس المشارك للماركسية والأنا الأخري alter ego العقلية لماركس، ولقد جري الأمر علي أن لينين وستالين هما (تلميذا العبقرية) وأنهما أوضحا فكر الأستاذ وشيدا علي أسس هذا الفكر، وجري القول بأن حزباً سياسياً علي نطاق عالمي يحارب أو يحكم بإسمه هو المستودع الوحيد للماركسية الصارمة والحكم الفيصل ل "ما قصد إليه ماركس حقا".(٤)

يري جيجك أن المرء ينبغي أن يتذكر الجانب التحريري الهائل لهذا العنف الذي يجعلنا نعيش خلفيتنا الثقافية الخاصة علي أنها عرضية طارئة، دعونا لا ننسي أن الليبرالية ظهرت في أوروبا من رحم كارثة حرب الأعوام الثلاثين بين الكاثوليك والبروتستانت وجاءت ردا علي السؤال الملح عن كيفية تمكين الناس من ذوي الولاءات الدينية المختلفة جذرياً من التعايش، فقد طالبت الليبرالية المواطنين بما هو أكثر من التسامح المتعجرف بين أديان متغايرة بما هو أكثر من التسامح كحل توافقي وسط ومؤقت، لقد طالبتنا بأن نحترم الأديان الأخري لا رغما عن قناعاتنا الدينية الأعمق، بل بالإستناد إليها والإنطلاق منها، فإحترام الأخرين إثبات للإيمان الحقيقي، ولعل التعبير الأفضل عن هذا الموقف هو ذلك المنسوب إلي المفكر المسلم العظيم الذي عاش في القرن الثامن **"أبو حنيفة"** إذ قال: "إختلاف الرأي في الجماعة دليل نعمة سماوية"، إذ في إطار هذا الفضاء الأيديولوجي وحده يستطيع المرء أن يمارس هويته بوصفها طارئة و "مركبة" بنيت منطقياً (إستدلاليا)، مهما تكن الأمور الأخري التي يستطيع المرء إتهام التعددية الثقافية الليبرالية بها، فإن عليه أن يعترف في الأقل أنها معادية بعمق للنزعة "الجوهرية": الآخر البربري هو الذي يعد جوهرياً وزائفا إذا تقوم الأصولية ب "تطبيع" أو "جوهرة" سمات أو ميزات عرضية

(١) أوجين كامنكا: مرجع سابق - ص ١٥
(٢) المرجع نفسه ص ١٦
(٣) الموضع نفسه
(٤) المرجع نفسه ص ١٨

طارئة مشروطة تاريخيا وتبقي الحضارات الأخري، في نظر أوروبيي الحداثة عالقة ومجمدة بأسر ثقافاتها الخاصة في حين أن الأوروبيين مرنون ،يعملون بإطراد علي تغيير إفتراضاتهم.(١)

ويري جيجك أنه يحلو لنقاد "ما بعد الإستعمار" أن يؤكدوا عدم حساسية الليبرالية حيال نواقصها الخاصة، فهي في دفاعها عن حقوق الإنسان تميل إلي فرض أنموذجها لهذه الحقوق علي الآخرين، إلا أن الحساسية الإنعكاس تجاه تلك النواقص الذاتية لا تبرز إلا علي خلفية فكرتي الإستقلال الذاتي والعقلانية المدعومتين ليبراليا، ويستطيع المرء بالطبع أن يجادل أن الوضع الغربي بطريقة ما أسوأ من ذلك، لأن الإضطهاد فيه يطمس ويحجب ويبرز علي أنه خيار حر.

ما الداعي إلي الشكوي؟ ألم تختر أنت أن تفعل هذا؟ وكثيراً ما تقوم حرية الإختيار عندنا عمليا بمجرد وظيفة موافقة شكلية علي الإضطهاد والإستغلال الذين نتعرض لهما، إلا أن فكرة هيجل عن أهمية الشكل مهمة هنا، فالشكل يتسم بإستقلالية وكفاءة تخصانه.(٢)

ثالثاً: لماذا نحن في حيرة دائما؟

يضع جيجك تساؤلاته عن جدوي الإختيار وسط عالم ملئ بمتغيرات لا تزيد عقولنا - الراغبة في الإستقلال - إلا إرتباكا وإرتباطا بتفاهات لا حصر لها، وعن دوره كفيلسوف ودور الفلسفة عموما يري أن ما إتهمت به الفلسفة علي مر عصورها هو تعاليها علي الواقع, فكيف تتوحد الفلسفة مع مشكلات كالإرهاب، يقول جيجك:"اليوم نحن الفلاسفة عرضة للمخاطبة، السؤال، والتحدي، إن من المتوقع تدخلنا وإنخراطنا في الحيز الأوروبي العام، وما إلي ذلك، كيف يمكننا الوصول إلي مستوي هذه المتطلبات؟ ليس بطريقة مختلفة كما أعتقد - وبالطبع ليس بالطريقة ذاتها تماما - عما يفعله المحلل النفسي بشأن مريض، إذ أن المريض أيضاً يتطلب ويطمح لشئ ما ونادراً ما يتعب / تتعب من هذه المتطلبات، إنها متطلبات زائفة، إذ هم يلمحون إلي مشكلة حقيقية يقومون بإخفاءها في الوقت ذاته".(٣)

ويتابع جيجك: "لنعد إلي موضوع عدم التناغم الذي ذكره آلان باديو، في هذه المقالة المذهلة بخصوص ١١ أيلول / سبتمبر يقوم باديو بتناول المفهوم الدولوزي ل "الأطروحة الجامعة المفارقة"، لو قام أحد ما بسؤالنا نحن الفلاسفة عن شئ ما، بالعموم شئ يتعلق بالإنخراط أكثر من مجرد إبداء رأي عام بإتجاه ما بخصوص و ضع إشكالي، علي سبيل المثال نحن اليوم في حرب ضد الإرهاب وهذا يدفعنا لمواجهة مشكلات مروعة: هل ينبغي علينا مقايضة حريتنا لحساب الأمان من الإرهاب؟ هل يتوجب علينا أن نتصف بإنفتاح ليبرالي ردا علي التطرفات، حتي لو كان ذلك يعني بتر جذورنا وفقدان هويتنا - أم أن علينا ترسيخ هويتنا بشكل أقوي؟ إن الإشارة إلي أن البدائل التي نواجهها تشكل أطروحة جامعة فارقة، أي أنها بدائل زائفة، يجب أن تكون الإشارة الأولي للفيلسوف هنا: يجب عليه تغيير المفاهيم الجوهرية للجدال، والتي تمثل برأيي المعاكس تماما لما سماه باديو "خيارا راديكاليا"، وفي حالتنا تحديدا هي تعني بأن "الليبرالية" "الحرب ضد الإرهاب" وما يسمي ب "الإرهاب الأصولي" جميعها أطروحات جامعة فارقة، إنها ليست الخيار الراديكالي يجب علينا تغيير المفاهيم الجوهرية للجدال".(٤)

---

(١) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ١٤٩
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠
(٣) آلان باديو وسلافوي جيجك: مرجع سابق - ص ٥٤
(٤) آلان باديو وسلافوي جيجك: مرجع سابق ص٥٤

إن تناقض الواقع - من وجهة نظر جيجك - ينعكس علي حرية الإرادة التي تضطرب تبعا لكونها متصلة بهذا الواقع، وينطبق ذلك علي جوانب أخري للحياة الإنسانية، يقول جيجك: "علي المرء أن يحمل في ذهنه التناقض الدائري الذي يدعم "الإنتخابات الحرة" في مجتمعاتنا الديموقراطية، المرء حر في الإختيار في حالة أن يتخذ الخيار الصحيح، هذا سبب أنه عندما يتم التوجه لخيار خاطئ، يتم التعامل مع ذلك علي أنه خطأ والنظام القائم يفرض فورا تكرار التصويت من أجل أن يعطي للبلد الفرصة لتصحيح خطئها والتوجه للخيار الصحيح".(١)

يقول جيجك: "من يعلم ما ينبغي فعله اليوم؟ لا توجد ذات تعرف لا في شكل المثقفين ولا الناس العاديين، هل هناك مأزق إذن؟ حالة الأعمي الذي يقود أعمي أو بدقة أكبر أعمي يقود أعمي في حين أن كلا منهما يفترض أن الآخر بإمكانه الرؤية؟ لا لأن الجهل المزدوج ليس سيمتريا، إنهم الناس الذين يملكون الإجابات، إنهم فقط لا يعرفون الأسئلة التي يملكون أو بالأحري هم إجابتها".(٢)

كما يضيف جيجك عن "حضور" هؤلاء الذين يجدون أنفسهم علي الجانب الأفقر من الجدار الذي يفصل من بالداخل عمن بالخارج: "الحشود لديها إجابات عن أسئلة لم تطرح بعد، ولديها القدرة علي أن تعيش أطول من الجدران، الأسئلة لم تطرح بعد لأن ذلك يتطلب كلمات ومفاهيم تبدو حقيقية، وتلك التي تستخدم حاليا لتسمية الأحداث تحولت إلي كلمات بلا معني الديموقراطية، الحرية، الإنتاج .. إلخ, بالإضافة إلي مفاهيم جديدة سيتم طرح الأسئلة قريبا، لأن التاريخ يتضمن بالضبط أمثال عملية طرح الأسئلة قريبا؟ في غضون جيل واحد".(٣)

يقول جيجك: "تجد الحضارة الأوروبية أن من الأسهل التسامح مع طرائق حياة مختلفة تحديدا من منطلق ما يدأب نقادها عادة علي التبرؤ منه وإستنكاره بوصفه مكمن ضعفها وسبب إخفاقها، أي إغتراب الحياة الإجتماعية، فأحد الأشياء التي يعنيها الإغتراب هو أن المسافة الفاصلة تدخل في النسيج الإجتماعي للحياة اليومية بالذات حتي إذا كنت أعيش جنبا إلي جنب مع آخرين، فإنني أتغاضي عنهم في حالتي الطبيعية مسموح لي ألا أبالغ في الإقتراب من الآخرين، وأن أتحرك في فضاء إجتماعي يمكنني من التفاعل مع آخرين مراعيا قواعد "ميكانيكية" خارجية معينة من دون مشاركتهم عالمهم الداخلي، لعل الدرس الذي ينبغي تعلمه هو أن جرعة إغتراب تكون أحيانا وسيلة يتعذر الإستغناء عنها للتعايش السلمي أحيانا ليست الغربة مشكلة بل هي حل".(٤)

إن العزوف النفسي يقوم علي رفض شرط الرمز من دون أي لف أو دوران، وللإلتفاف حول تخوم هذا الرفض الجذري يجد المرء نفسه واقفا تحت إغراء إستحضار أطروحة باديو الإستفزازية "من الأفضل عدم القيام بأي شئ بدلا من المساهمة في إختراع أساليب شكلية لجعل ما تراه الإمبراطورية موجودا سلفا مرئيا"، من الأفضل ألا تفعل شيئا بدلا من الإنخراط في تحركات محلية إذا كانت الوظيفة القصوي لتلك التحركات هي جعل عجلة النظام تدور بقدر أكبر من البشر (تحركات من قبيل الإفساح في المجال للحشد حول ذاتيات جديدة).(٥)

---

(١) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق ص٩٧
(٢) المصدر نفسه ص٩٩
(٣) الموضع نفسه
(٤) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ٦٤
(٥) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ٢١٣

ولا يري جيجك أن التهديد اليوم هو الموقف السلبي، بل الموقف الإيجابي، الفاعل الزائف، الإلحاح علي التحلي ب"الفاعلية" علي "المشاركة" لحجب عدمية ولا شيئية ما هو جار علي قدم وساق، الناس يتدخلون الوقت كله، "يفعلون شيئا"، الأكاديميون يشاركون في حوارات بلا معني، وما إلي ذلك، أما الشئ الصعب حقا فهو التراجع، والإنسحاب، أولئك الذين هم في السلطة غالبا ما يفضلون علي الصمت ولو مشاركة "نقدية" وحوارا، لا لشئ إلا لإشراكنا في "الحوار" للإطمئنان إلي أن سلبيتنا المشؤومة كسرت، وهكذا فإن إمتناع الناخبين عن الذهاب إلي مراكز الإقتراع، وعزوفهم عن الإدلاء بأصواتهم ليسا سوي فعل سياسي حقيقي ينتصب في وجوهنا بقوة مع خواء أنظمة اليوم الديموقراطية، إن عدم القيام بأي تحرك يكون أحيانا، أقوي التحركات التي يمكن القيام بها.[١]

إذن فنحن نكون في حيرة دائمة بسبب غموض الواقع وعدم ثقتنا بنتائج ما سوف نختاره، إن تناقض الواقع الذي نحياه هو الذي يشوش قدرتنا علي إسقاط إرادتنا علي الواقع، وإن كانت الجماهير هي التي تملك أصعب الإجابات علي أصعب الأسئلة، فإن الفرد هو الذي يعاني أشد الحيرة حيال الواقع الذي لا يكف عن التغير مما يعجز الفرد عن إستيعابه ويؤدي بالتالي إلي تلك الحيرة.

رابعاً: الإلحاد كدافع للسلام

يري جيجك أن أكثر الدوافع الفردية إلي السلام وقبول الآخر والمرونة الفكرية، تنبع من الإلحاد، حيث أن الأديان - كما يري جيجك - أدت إلي أكثر الأحداث دموية وعنفا علي مر التاريخ، يقول جيجك: "منذ وقت غير قصير، يقال لنا دائما إننا في غياب الدين لسنا إلا حيوانات أنانية متقاتلة علي النعم، ومنظومتنا الأخلاقية الوحيدة هي أخلاق قطيع من الذئاب، وما من شئ سوي الدين يستطيع أن يرفعنا إلي مستوي روحي أعلي، أما اليوم مع إنبثاق الدين بوصفه السبب الرئيس للعنف الإجرامي القاتل القاتل في طول العالم وعرضه، فإن المرء أصبح يتملكه شعور متزايد بالملل حيال التأكيدات المطردة لمقولة أن الأصوليين - أصوليي الديانات المسيحية والإسلامية والبوذية وحدهم - هم من يسيئون إستخدام الرسائل الروحية النبيلة لمعتقداتهم وتحريفها، ألم يحن أوان إستعادة كرامة الإلحاد الذي قد يكون فرصتنا الوحيدة للوصول إلي السلام؟ من المألوف أننا نسارع، لدي الكلام عن العنف ذي الخلفية الدينية، إلي إلقاء اللوم علي العنف نفسه: العنصر السياسي العنيف أو "الإرهابي" هو الذي يسئ إستخدام دين نبيل، ما يؤدي إلي جعل الهدف متمثلا في إستعادة الجوهر الأصيل للدين بتحريره من الإستغلال السياسي، لكن ماذا إذا أقدم المرء علي مخاطرة عكس هذه العلاقة؟ ماذا إذا كان ما يبدو قوة إعتدال تجبرنا علي التحكم بعنفنا، هو المحرض الخفي علي هذا العنف؟ وماذا والحال هذه إذا أقدم المرء بدلا من شجب العنف علي التبرؤ من الدين بما في ذلك إرتداداته العلمانية الشبيهة بالشيوعية الستالينية المستندة إلي الآخر التاريخي الكبير ومواصلة العنف بحد ذاته مع تحمل المسؤولية الكاملة عنه من دون أي غطاء أو تستر خلف أشكال وصيغ الآخر الكبير؟"[٢]

ويتابع جيجك: "كثيرا ما يزعم أن كل خلاف أخلاقي معاصر ليس في الحقيقة إلا نزاعا بين تشارلز دارون والبابا (الفاتيكان)، من جهة هناك (لا) أخلاق علمانية تري إستغلال الأفراد والتضحية بهم من دون رحمة من الأمور المطلوبة والمرغوبة، ومن الجهة الأخري ثمة أخلاق

(١) الموضع نفسه

(٢) سلافوي جيجك: **"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ١٣٤

مسيحية تؤكد أن لكل إنسان، ولكل كائن بشري فرد روحا خالدة مقدسة، وفي هذا السياق إن اللافت ملاحظة أن ثمة دارونيين إجتماعيين كانوا بعد إندلاع الحرب العالمية الأولي أنصار سلام من منطلق دارونيتهم المعادية للمساواتية، فكبير رافعي راية الدارونية الإجتماعية المعروف إرنست هايكل عارض الحرب لأن من يقتلون فيها هم الناس الخطأ: "كلما كان الرجل أقوي، وأفضل عافية، وشابا بشكل طبيعي إرتفع إحتمال تعرضه للقتل بالرصاص وبالمدافع وغيرها من أدوات المدنية المشابهة" تمثلت المشكلة في عدم السماح بتجنيد الضعفاء والمرضي، فهؤلاء كانوا يتركون لينجبوا أطفالا فتتقهقر الأمة بيولوجيا، فكان أحد الحلول المطروحة إجبار الجميع علي الإلتحاق بالجيش وعدم التردد بعد ذلك في تقديم الضعفاء والمرضي، دونما رحمة طعاما للمدافع من خلال سلسلة من العمليات الإنتحارية".[١]

ولعل اوضح رؤي جيجك حول هذه النقطة هو الآتي حيث يقول:"أما ما يعقد هذا كله اليوم فهو أن ما يجعل المذابح الجماعية متزايدة الشرعنة علي نحو متزايد هو أن منطلقاتها دينية، في حين أن النزعة المسالمة المناوئة للحرب هي في معظمها نزعة إلحادية، فالإيمان بهدف سماوي أسمي هو ما يسمح لنا بإستغلال الأفراد، في حين أن الإلحاد لا يعترف بمثل هذا الهدف فيرفض جميع ألوان التضحية المقدسة، لا غرابة إذن أن إلتون جون كما قالت الأسوشيتد برس عارض جميع الأديان المنظمة، علي الرغم من تعبيره عن الإعجاب بتعاليم المسيح وقادة روحيين آخرين، فقد قال: "أعتقد أن الدين حاول دائما توجيه الكره نحو المثليين يدأب الدين علي تعميق الكره والحقد ضد المثليين، من وجهة نظري أنا مع حظر الدين كليا، يبدو أن الدين المنظم غير ناجح، إنه يحول الناس إلي قوارض بغيضة حقا ولا علاقة له، في الحقيقة بالرحمة والشفقة"، كذلك أخفق القادة الدينيون في أن يفعلوا شيئا في فيض التوترات والصراعات في طول العالم وعرضه، وسأل إلتون جون: "لماذا لا يعقدون خلوة؟ لماذا لا يلتقون؟ "[٢]

يتابع جيجك: "من شأن طغيان العنف المبرر دينيا (أو إثنيا) أن يفسر بكوننا نعيش في حقبة تري أنها تنتمي إلي ما بعد الإيديولوجيا، وبما أن القضايا العامة الكبري ما عادت قابلة للتعبئة بالإستناد إلي العنف الجماعي (الحرب) لأن أيديولوجيتنا المهيمنة تدعونا إلي الإستمتاع بالحياة وتحقيق ذواتنا، فإن من الصعب بالنسبة إلي الأكثرية أن يتغلب علي النفور من تعذيب إنسان آخر وقتله. إن الأكثرية الساحقة من الناس "أخلاقية" عفويا، ذلك لأن قتل إنسان آخر يشكل ضربو كبري في نظرها، لذا فإن جعل هذه الأكثرية مستعدة للقتل يسلتزم إجتراح قضية "مقدسة" أكبر قضية تقلب الهواجس الفردية الوضيعة ذات العلاقة بالقتل إلي أمور تافهة. ويتلاءم الإنتماء الديني أو العرقي تماما مع هذا الدور، بالطبع هناك أمثلة عن ملحدين مرضي مؤهلين لإقتراف مذابح جماعية لمجرد المتعة، ولمجرد التلذذ بهذا الفعل، إلا أنهم إستثناءات فالأكثرية بحاجة إلي "تخدير" ضد حساسياتها حيال معاناة الآخر، لهذاهناك حاجة إلي قضية مقدسة".[٣]

يتابع جيجك: "منذ ما يزيد علي القرن، حذر دوستويفسكي في روايته "الإخوة كارامازوف" من مخاطر العدمية الأخلاقية الملحدة "إذا لم يكن الرب موجودا فكل شئ مباح!"، وحاول "الفيلسوف الجديد" الفرنسي غلوكسمان تطبيق نقد دوستويفسكي للعدمية الكافرة علي الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، كما يوحي عنوان كتابه "دوستويفسكي في مانهاتن"، يا لهول الخطأ! عبارة إرهاب اليوم تقول إذا كان ثمة إله أو رب فإن كل شئ، حتي الإجهاز علي المئات

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٥

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٦

(٣) سلافوي جيجك: **"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ١٣٦

من المارة والمتفرجين الأبرياء، مباح بالنسبة إلي أولئك الذين يزعمون أنهم يتحركون بإسم الرب مباشرة بوصفهم أدوات تنفذ مشيئته، لأن من الواضح أن من شأن أي إرتباط مباشر بالرب يسوع إنتهاك أي ضوابط أو إعتبارات "بشرية مجردة"، وما الشيوعيون الستاليون "الكفرة" إلا برهان أقصي علي صحة هذه المقولة " كل شئ كان مباحا لهم لأنهم كانوا يرون أنفسهم أدوات مباشرة تحت تصرف مقدسهم الضرورة والحتمية التاريخية للتقدم نحو النظام الشيوعي".[١]

يري جيجك أن تاريخ الإلحاد الأوروبي من جذوره الإغريقية والرومانية يقدم في قصيدة لوكريتوس (عن طبيعة الأشياء) إلي الكلاسيكيين الحديثين من أمثال سبينوزا درسا في الكرامة والشجاعة، إنه أكثر بكثير من طفرات متعوية عابرة، إنه متميز بوعي المحصلة المرة لكل حياة بشرية لعدم وجود أي مرجعية عليا, تتولي مهمة الإشراف علي مصائرنا وضامنة لمحصلة سعيدة، في الوقت نفسه يواصل الملحدون صوغ رسالة الفرح الآتي لا من مراوغة الواقع بل من قبوله ومن إهتداء المرء إبداعيا إلي موقعه فيه، إن ما يجعل هذا التراث المادي فريدا هو أسلوبه في المزاوجة بين الوعي المتواضع أننا لسنا أسياد الكون، بل مجرد أجزاء من كل أكبر وأرحب كثيرا ونحن عرضة لتقلبات القدر الطارئة مع نوع من الإستعداد لتحمل عبء المسؤولية الثقيل عما نفعله في حياتنا وما نوظفه من أجلها، ومع الخطر المتمثل في كارثة لا يمكن التنبؤ بها وتلوح في الأفق من جميع الجهات، أليس هذا موقفا مطلوبا أكثر من أي وقت مضي في زمننا؟ [٢]

منذ عامين إندلع سجال في أوروبا، هل يجب ذكر المسيحية بوصفها المكون الأساس للتراث في ديباجة مشروع الدستور الأوروبي؟ جري التوصل إلي حل وسط توافقي قضي بإدراج المسيحية جنبا إلي جنب مع اليهودية والإسلام وتركة العصور القديمة، لكن أين موضع التركة الأغلي والأعز لأوروبا الحديثة؟ أي التركة المتمثلة في الإلحاد! إن ما يجعل أوروبا الحديثة فريدة هو أنها الحضارة الأولي والوحيدة التي تتعامل مع الإلحاد علي أنه خيار مشروع مئة في المئة لا عقبة أمام أي منصب عام إن هذا تراث أوروبي بكل تأكيد جدير بالدفاع عنه والقتال في سبيله.[٣]

في حين أن الملحد الحقيقي ليس بحاجة علي الإطلاق إلي الترويج لموقفه الخاص لصدم المؤمنين وإستفزازهم بتصريحات إلحادية، فإنه يرفض إختزال مشكلة رسوم النبي محمد الكاريكاتورية إلي قضية إحترام معتقدات الآخرين، فإحترام معتقدات الآخرين بوصفه القيمة الأعلي من شأنه ألا يعني إلا أحد أمرين: إما أن نتعامل مع الآخر بأسلوب قائم علي المداهنة والتلطف وتجنب إيذائه كي لا تنهار أوهامه، وإما تقدم علي إعتماد موقف نسبوي قائم علي منظومات تعددية حقيقية وإعلان عدم أهلية فرض العنف لتأكيد أي حقيقة مهما بلغت من الوضوح، لكن ماذا عن إخضاع الإسلام جنبا إلي جنب مع الأديان كلها لتحليل نقدي محترم؟ لكن لذلك السبب لا يكون في خضوعه للتحليل النقدي أقل صرامة وتشددا، هذا فقط دون غيره هو الأسلوب الملائم للتعبير عن إحترام حقيقي للمسلمين: أسلوب التعامل معهم علي أنهم راشدون جادون مسؤولون عن معتقداتهم.[٤]

لقد تناقشت في مكان آخر في مواجهة النسق الثنائي، ربما كان نيتشه وحده أكثر الأنبياء درامية بإظهاره أنه لا يختلف كثيرا عن إنطباع هذه الآخرية التي يسعي أيضا لإنتاجها، الخير هو

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٧
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٨
(٣) المصدر نفسه ص ١٣٩
(٤) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ١٣٩

نحن والناس الذين يشبهوننا، والشر هو الناس الآخرون وإختلافهم الراديكالي عنا (أو أي نمط)، ولكن المجتمع اليوم يتلاشي إختلافه لكل أنواع الأسباب (وغالبا أسباب خيرة) ومعه الشر ذاته.[١]

علي أي حال فهذا النسق يبدو هشا تماما، إن كنا نختصر تعريف الخير ما قبل الحداثي (وحتي ما قبل المسيحي) بالناس الذين يشبهوننا (ماذا عن حب أعداء/ أقرباء المرء؟)، إن الشرور ضمن الثقافة الجماهيرية إختصرت إلي متبقيين وحيدين من نمط الشر، هذان التمثيلان لأعداء المجتمع الحقيقيين هما القاتلون المتسلسلون من جهة، ومن جهة أخري الإرهابيون (غالبا بسبب إقتناع ديني في الوقت الذي تعرف فيه الإثنية عن طريق الدين، أما الأبطال العلمانيون السياسيين مثل الشيوعيين والفوضويين لم يعد يبدو أنهم متاحون.[٢]

يري جيجك أن نهاية العالم شخصت بنموذج زمني خاص، يقابل بشكل واضح النموذجين المسيطرين الآخرين: الزمن السيار التقليدي (زمن منظم ومضبوط علي المبادئ الكونية، يعكس نظام الطبيعة والسماء، الزمن الذي منه الإنسان والكون يصدحان في إنسجام)، والزمن الخطي الحديث للتقدم التدريجي أو النمو، زمن الأبوكاليبتك هو "زمن نهاية الزمن"، زمن الطوارئ، زمن "حالة الإستثناء" حيث النهاية قريبة ولابد أن نتحضر لها، هناك علي الأقل أربع نسخ مختلفة من الأبوكاليبتك اليوم: الأصولية المسيحية، وروحانية العصر الجديد، وما بعد إنسانية تقنية رقمية، والبيئية العلمانية.[٣]

علي الرغم من أنها تتشارك بالمفهوم الأساسي بأن الإنسانية تقترب من نقطة الصفر للتحول الجذري إلا أن أدبياتهم الخاصة مختلفة جذريا: الأبوكاليبتك الرقمي التقني، تبقي خلال حدود الطبيعة العلمية، ورؤي في تطور الأنواع البشرية تحيط بتحولنا إلي "ما بعد بشر"، تمنح روحانية العصر الجديد هذا التحول التواء إضافيا، تفسيره بإعتباره التبدل من أحد نماذج "الوعي الكوني" إلي نموذج آخر (عادة التبدل من موقف آلي ثنائي إلي نموذج الغمر الشمولي).[٤]

قرأ الأصوليون المسيحيون بالطبع سفر الرؤية في معان إنجيلية صارمة، ولهذا يبحثون (ويجدون) في العالم المعاصر عن إشارات تفضي إلي أن المعركة الأخيرة بين المسيح والمسيح الدجال وشيكة، أخيراً يتقاسم البيئيون العلمانيون موقف أنصار الطبيعة لدي ما بعد الإنسانيين، لكنهم يمنحونه إلتواءا سلبيا يصل "نقطة الأوميجا" - نقطة الأوميجا مصطلح إبتدعه اليسوعي الفرنسي شاردان للدلالة علي حالة تطور الكون بحيث يصل إلي أقصي تعقيد منظم - التي نقترب منها، ليست تقدم لمستوي "ما بعد الإنسان" أعلي، لكن التدمير الذاتي الكارثي للإنسانية، علي الرغم من أن لدي الأصوليين المسيحيين بعد الأكثر سخافة وخطورة في محتواه إلا أنه يبقي النسخة الأقرب لمنطق "الألفية" الراديكالي التحرري، فالمهمة هي الإتيان به إلي إتصال أقرب مع البيئة العلمانية، بذلك إعتبار تهديد الإبادة كفرصة لتجديد التحرر الراديكالي.[٥]

في أثناء حملة الملك سان لوي الصليبية، تحدث بريتون عن أنه إلتقي مرة عجوزا تطوف في الشوارع حاملة بيدها اليمني طبقا مملوءا بالنار، وفي يدها اليسري طاسا مملوءة بالماء، وعند

(١) سلافوي جيجك:**"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص ١٠٧
(٢) الموضع نفسه
(٣) سلافوي جيجك: **"بداية كمأساة وأخري كمهزلة"** – مصدر سابق- ص ١٤٥
(٤) سلافوي جيجك: **"بداية كمأساة وأخري كمهزلة"** – مصدر سابق- ص ١٤٥
(٥) المصدر نفسه ص ١٤٦

سؤالها عما كانت تفعله أجابت قائلة: "بالنار سأحرق الفردوس حتي لا يبقي منه شئ، وبالماء سأطفئ نيران الجحيم كي لا يبقي شئ منها، فأنا أريد ألا يفعل أحد خيرا من أجل الحصول علي مكافأة النعيم، أو شرا خوفا من النار، بل حبا للرب فحسب" الشئ الوحيد الذي يمكن أن يضاف إلي هذا هو: لماذا إذا لا يمحي الرب نفسه والمبادرة إلي فعل الخير من أجل الخير؟ لا غرابة في أن هذا الموقف الأخلاقي المسيحي بجدارة باق اليوم حاضرا مستمرا في إطار الإلحاد.(١)

يقوم الأصوليون (بناءا علي ما يرون) بأفعال خير تنفيذا لمشيئة الرب ليكونوا جديرين بالخلاص، ويقوم الملحدون بها ببساطة لأن ذلك هو الشئ الذي يصح فعله، ألا يشكل ذلك الأساس لأكثر تجاربنا الأخلاقية؟ حين أقدم علي عمل الخير، فأنا لا أفعل ذلك منتظرا الفوز بإستحسان الرب، بل أفعله لأنني لا أستطيع أن أفعل العكس ،فلو فعلت لما أستطعت أن أنظر إلي صورتي في المرآة، فالفعل الأخلاقي هو نفسه تحديدا يتضمن مكافأته، لذا قام أستاذ الإقتصاد والفيلسوف ديفيد هيوم وكام مؤمنا بطرح هذه الفكرة بطريقة بالغة الحدة حين كتب أن الأسلوب الوحيد للتعبير عن الإحترام الحقيقي للرب هو التصرف علي نحو أخلاقي مع تجاهل وجود الرب.(٢)

إن كان ثمة ما هو مشترك بين الأفكار والتأملات الخاصة بالعنف، فإن مفارقة مشابهة تتطابق مع هذا المفهوم، إذ تبقي في عقولنا، أولاً وقبل كل شئ مؤشرات العنف الصريحة الواضحة متمثلة في أفعال الإجرام والإرهاب والإضطراب الأهلي والصراع الدولي، غير أن علينا أن نتعلم فن التراجع فن فك الإرتباط بالإغراء المبهر لهذا العنف "الذاتي" المرئي مباشرة، الذي يقترفه شخص ما يمكن التعرف إليه بوضوح، لابد لنا من إدراك خصائص الخلفية التي تولد مثل هذه التفجيرات، فمن شأن خطوة كهذه أن تمكننا من أن نطيح العنف ما يؤدي إلي إدامة جهدنا الفعلي المكرس لمحاربة العنف وتعزيز التسامح.(٣)

ويوضح جيجك موقف الملحدين من المسلمين الذين يتلقون معاملة عنصرية في الغرب المسيحي علي الدوام، حيث يقول: "إن التحالفات تواجه الجالية المسلمة في أوروبا بخيار صعب يؤدي إلي تغليف وضعها الشاذ, التجمع السياسي الوحيد الذي لا يختزل المسلمين إلي مواطنين من الدرجة الثانية، ويفسح لهم المجال لممارسة هويتهم الدينية، هو تجمع الليبراليين الملحدين "الكفرة" إما إولئك الذين يقومون بممارسات إجتماعية - دينية، والمرآة التي تعكس صورتهم هي المسيحية, فهم أعداء المسلمين السياسيين الألداء والأكثر شراسة، وتكمن المفارقة في أن حلفاءهم الحقيقيين الوحيدين ليسوا أولئك الذين نشروا الرسوم أول مرة، بل أولئك الذين بادروا، إنطلاقا من التضامن مع حرية التعبير إلي إعادة نشر تلك الرسوم".(٤)

ويتابع جيجك: "لعل ما نحن بحاجة إليه بعد هذه الخطابات التي تعلن عودة تدين "ما بعد العلمنة" وحدود التحرر من الاوهام والحاجة إلي إعادة إكتشاف المقدس هو جرعة وازنة من الإلحاد العتيق المعروف، فالغضب الذي أحدثته رسوم النبي محمد الكاريكاتورية في المجتمعات المسلمة يطرح علي ما يبدو برهانا آخر علي أن المعتقدات الدينية هي قوة يجب أخذها في الحسبان، ومع أن عنف الحشود المسلمة يدعو إلي الإستنكار والأسف، فإنه يبدو مؤكدا علي أن

(١) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ١٣٨
(٢) الموضع نفسه
(٣) المصدر نفسه ص ٧
(٤) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق ص ١٣٣

التحررين الغربيين الماكرين المتهورين أيضاً أن يتعلموا درسا مما حصل، هذه هي حدود التحرر العلماني من الأوهام أو هذا هو ما يقال لنا".[١]

ويتابع جيجك: "هل هذا بالفعل الدرس الذي يجب إستخلاصه من إنغماس الدهماء في أعمال القتل والنهب وإشعال الحرائق بإسم الدين؟ فمنذ وقت غير قصير يقال لنا دائما إننا في غياب الدين لسنا إلا حيوانات أنانية متقاتلة علي النعم ومنظومتنا الأخلاقية الوحيدة هي أخلاق قطيع من الذئاب، وما من شئ سوي الدين يستطيع أن يرفعنا إلي مستوي روحي أعلي، أما اليوم مع إنبثاق الدين بوصفه السبب الرئيس للعنف الإجرامي القاتل في طول العالم وعرضه، فإن المرء أصبح يتملكه شعور متزايد بالملل حيال التأكيدات المطردة لمقولة أن الأصوليين، أصوليي الديانات المسيحية والإسلامية والبوذية وحدهم هم من يسيئون إستخدام الرسائل الروحية النبيلة لمعتقداتهم وتحريفها، ألم يحن أوان إستعادة كرامة الإلحاد الذي قد يكون فرصتنا الوحيدة للوصول إلي السلام؟[٢]

إذن فجيجك يري أن دافع الإنسان إلي العنف هو الأصولية الدينية وهو يخرج بإستنتاجاته حول هذه النظرية من شواهد أتي بها من الواقع ويعتبرها دليلا دامغا علي صحة نظريته، وأن الدين يكون في أغلب أحواله دافعا عظيما لتابعيه نحو العنف، وإن هذا الدافع النابع من الدين هو أشد خطورة من أي دوافع أخري قد تكون موجودة، لأن صاحبه يكون علي يقين من أنه علي صواب وأن موقفه يناصر موقف السماء.

والعنف الأصولي - من وجهة نظر جيجك - لا يمكن أن يقارن بأي حال من الأحوال بالعنف الذي يأتي من مصادر ملحدة، وذلك لأنه إن كان هذا العنف موجوداً بندرة شديدة أصلا، فإنه بالإضافة إلي ذلك يمكن ضحده ومنعه بسهولة أكبر بكثير من العنف الديني، وذلك لأن الملحدون أشد إنفتاحا علي الحوار والجدل وتطبيق وجهات النظر المختلفة مما يجعلهم فكرهم أكثر قبولا للتغير وتبديل المواقف، عكس الدوغمائية الأصولية المتطرفه التي أدت - من وجهة نظر جيجك - إلي أكثر الاحداث دموية في التاريخ الإنساني.

يقول جيجك: "من المألوف أننا نسارع لدي الكلام عن العنف ذي الخلفية الدينية إلي إلقاء اللوم علي العنف نفسه: العنصر السياسي العنيف أو "الإرهابي" هو الذي يسئ إستخدام دين نبيل ما يؤدي إلي جعل الهدف متمثلا في إستعادة الجوهر الأصيل للدين بتحريره من الإستغلال السياسي، لكن ماذا إذا أقدم المرء علي مخاطرة عكس هذه العلاقة؟ ماذا إذا كان ما يبدو قوة إعتدال تجبرنا علي التحكم بعنفنا هو المحرض الخفي علي هذا العنف؟ وماذا والحال هذه إذا أقدم المرء بدلاً من شجب العنف علي التبرؤ من الدين بما في ذلك إرتداداته العلمانية الشبيهة بالشيوعية الستالينية المستندة إلي الآخر التاريخي الكبير ومواصلة العنف بحد ذاته مع تحمل المسؤولية الكاملة عنه من دون أي غطاء أو تستر خلف أشكال وصيغ الآخر الكبير؟"[٣]

ويتابع جيجك: "كثيرا ما يزعم أن كل خلاف أخلاقي معاصر ليس في الحقيقة إلا نزاعاً بين تشارلز داروين والبابا (الفاتيكان)، من جهة هناك (لا) أخلاق علمانية تري إستغلال الأفراد والتضحية بهم من دون رحمة من الأمور المطلوبة والمرغوبة، ومن الجهة الأخري ثمة أخلاق

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٤

(٢) الموضع نفسه

(٣) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ١٣٤

مسيحية تؤكد أن لكل إنسان ولكل كائن بشري فرد روحا خالدة مقدسة, وفي هذا السياق من اللافت ملاحظة أن ثمة داروينيين إجتماعيين كانوا بعد إندلاع الحرب العالمية الأولي أنصار سلام من منطلق داروينتهم المعادية للمساواتية، فكبير رافعي راية الداروينية الإجتماعية المعروف إرنست هايكل عارض الحرب لأن من يقتلون فيها هم الناس الخطأ "كلما كان الرجل أقوي وأفضل عافية وشابا بشكل طبيعي إرتفع إحتمال تعرضه للقتل بالرصاص وبالمدافع وغيرها من أدوات المدنية المشابهة"، تمثلت المشكلة في عدم السماح بتجنيد الضعفاء والمرضي، فهؤلاء كانوا يتركون لينجبوا أطفالا فتتقهقر الأمة بيولوجيا، فكان أحد الحلول المطروحة إجبار الجميع علي الإلتحاق بالجيش وعدم التردد بعد ذلك في تقديم الضعفاء والمرضي دونما رحمة طعاما للمدافع من خلال سلسلة من الهجمات الإنتحارية، أما ما يعقد هذا كله اليوم فهو أن ما يجعل المذابح الجماعية متزايدة الشرعنة علي نحو متزايد هو أن منطلقاتها دينية، في حين أن نزعة المسالمة المناوئة للحرب هي في معظمها نزعة إلحادية، فالإيمان بهدف سماوي أسمي هو ما يسمح لنا بإستغلال الأفراد، في حين أن الإلحاد لا يعترف بمثل هذا الهدف فيرفض جميع ألوان التضحية المقدسة".[١]

إن نظرة جيجك الموضوعية إلي الإسلام ترجع - إلي حد بعيد إلي كونه ملحدا - فهو لا ينظر إلي الإسلام بالنظرة الغربية العنصرية المعروفة، وإنما ينظر إليه بحيادية شديدة تصل إلي حد مهاجمة الغرب الذي هو منه لما إنتهي إليه الوضع من عداء ضد المسلمين، فهو قد أنصف المسلمين في مواضع عديدة، وحلل تناقض الغرب في تعامله مع قضية فلسطين، ورغم ذلك فهو لا يتعاطف بأي حال من الأحوال مع الإرهاب، بل يهاجمه مهما كان الدين الذي هو مصدر لأي نوع من أنواع الإرهاب الأصولي.

يقول جيجك: "إن الفلسطينيين الذين يزعمون أن تحرير أرضهم من الإحتلال الإسرائيلي يضفي زخما علي عملية إشاعة الديموقراطية في العالم العربي أخطأوا الحساب ذلك أن الأمور تسير في الإتجاه المعاكس، علي المرء أن يبدأ بالمواجهة الصريحة لجملة الأنظمة الإكليركية والعسكرية الفاسدة من سوريا إلي السعودية التي تستخدم الإحتلال الإسرائيلي لشرعنة أنظمتها, تكمن المفارقة في أن التركيز علي إسرائيل بالذات هو السبب الفعلي وراء خسارة العرب المعركة".[٢]

ويوضح جيجك معني الجهاد في الإسلام فيقول: "المعني الأساسي للجهاد في الإسلام لا يعني شن الحرب علي العدو الخارجي، بل الجهد الواجب بذله طلبا للطهر الداخلي، فالنضال هو ضد إخفاق المرء وضعفه الخاص، إذ ربما يتعين علي المسلمين أن يضاعفوا من نشاطهم بالإنخراط في عملية العبور نحو المعني الحقيقي والمعروف جيدا للجهاد"[٣]، ولعلها مفارقة نادرة أن يتفق رأي جيجك عن الجهاد في الإسلام مع رؤية ابن قيم الجوزية، الفقيه المسلم الشهير.

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه الشهير "زاد المعاد في هدي خير العباد محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين", "لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلي المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم في الذروة العليا منه فاستولي علي أنواعه كلها فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفة علي الجهاد بقلبه ولسانه ويده، ولهذا

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٥

(٢) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ١٢٨

(٣) الموضع نفسه

كان أرفع العالمين ذكرا، وأعظمهم عند الله قدرا، وأمره الله تعالي بالجهاد من حين بعثه، فقد أمر الله تعالي بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو تبليغ الحجة والإفهام تحت قهر أهل الإسلام، وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثه الرسل والقائمون به أفراد في العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددا فهم الأعظمون عند الله قدرا، ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه، كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الأوفر، وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك أكمل الجهاد وأتمه، ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا علي جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي صلي الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، والمهاجر من هاجر ما نهي الله عنه".[١]

ويتابع ابن قيم الجوزية فيقول: "كان جهاد النفس مقدما علي جهاد العدو في الخارج وأصلا له فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والإنتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله".[٢]

وهذا التوافق العجيب في الرأي بين سلافوي جيجك الفيلسوف الملحد المعاصر وابن قيم الجوزية الفقيه المسلم الذي عاش في القرون الوسطي يثبت موضوعية الحكم علي مسألة الجهاد في الإسلام ويثبت أن أسمي جهاد هو جهاد النفس، ولعل موضوعية جيجك وسعة إطلاعه غير المحدودة هما ما دفعاه إلي الوصول إلي هذه الفكرة التي يجهلها ملايين البشر ممن يدينون بالإسلام.

ويحلل جيجك كيف تم توظيف فكرة الإرهاب لمصالح سياسية فيقول: "إن الأطراف الثلاثة في الحرب علي الإرهاب: (الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من أيلول / سبتمبر، وإسرائيل والعرب) تري أنها ضحايا وتوظف ذلك لشرعنة سياساتها التوسعية، فبطريقة ما جاءت حوادث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر في اللحظة الملائمة لتبرير توسعية أميركا العسكرية العدوانية، ألم نصبح نحن أيضا ضحايا؟ نستطيع أن ندافع عن أنفسنا ونرد الصاع صاعين، علي هذا النحو أصبح تحالف أميركا وإسرائيل قادراً علي تقديم نفسه بوصفه ضحية أساسية ومحورا للضحايا.[٣]

خامساً: مشكلة العنف

يري سلافوي أنه إذا كان ثمة ما هو مشترك بين الأفكار والتأملات الخاصة بالعنف، فإن مفارقة مشابهة تتطابق مع هذا المفهوم تبقي في عقولنا، أولا وقبل كل شئ مؤشرات العنف الصريحة الواضحة متمثلة في أفعال الإجرام والإرهاب والإضطراب الأعلي والصراع الدولي غير أن علينا أن نتعلم فن التراجع، فن فك الإرتباط بالإغراء المبهر لهذا العنف "الذاتي" المرئي مباشرة الذي يقترفه شخص ما يمكن التعرف إليه بوضوح، لا بد لنا من إدراك خصائص الخلفية

(١) ابن قيم الجوزية: **"زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين"** - القاهرة - المطبعة المصرية ومكتبتها - الجزء الثاني - ص ٣٨

(٢) الموضع نفسه

(٣) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ١٢٨

التي تولد مثل هذه التفجيرات، فمن شأن خطورة كهذه أن تمكننا من أن نطيح العنف ما يؤدي إلي إدامة جهدنا الفعلي المكرس لمحاربة العنف وتعزيز التسامح.[١]

لعل كتاب **"العنف, تأملات في وجوهه الستة"** هو أهم الكتب التي حلل جيجك فيها مشكلة العنف وفرق في هذا الكتاب بين أنواعه، يقول جيجك في هذا الكتاب: "تعالوا نفكر بالمعني الزائف للإلحاح الذي يعم الخطاب الإنساني عند اليسار الليبرالي في شأن العنف، ففي هذا الخطاب يتعايش التجريد مع المحسوس الشكلي الزائف عند إبراز مشهد العنف (العنف ضد النساء، وضد الزنوج، وضد المشردين، وضد المثليين ...إلخ) علي خشبة المسرح، فثمة "إمرأة تتعرض للإغتصاب كل ست ثوان في هذا البلد"، وفي الوقت الذي تستغرقه منك قراءة هذه الفقرة سيكون عشرة أطفال قد ماتوا جوعا" وهذان مجرد مثالين، وفي عمق هذا الوضع يكمن نوع من الشعور المنافق بالفضيحة الأخلاقية, هذا النوع من الإلحاح الزائف والمصطنع بالذات وظفته مقاهي "ستارباكس" قبل عامين حين أشارت لافتات مرحبة بالزبائن علي مداخلها إلي أن نحو نصف أرباح المؤسسة من البن الذي تستخدمه يذهب إلي الرعاية الصحية لأطفال جواتيمالا موحية بأنك تنقذ حياة طفل كلما إرتشفت فنجان قهوة".[٢]

ويقول جيجك: "من الواضح أن مواجهة أشكال العنف بدءا من العنف المادي المباشر (القتل الجماعي والإرهاب) إلي العنف العقائدي [الأيديولوجي] (العنصرية والتحريض والتمييز الجندري) هو الشغل الشاغل للموقف الليبرالي المتسامح السائد اليوم، فأي نداء إستغاثة يسند من دون شك مثل هذا الكلام ويستبعد المقاربات الأخري كلها، وما عدا ذلك ينبغي أن ينتظر. أليس ثمة شئ مثير للريبة أمر عرضي حقا، في هذا التركيز علي العنف الذاتي، ذلك العنف المفعل بعناصر إجتماعية: أفراد أشرار وأجهزة قمعية مدربة وحشود أعماها التعصب؟ أليس في ذلك محاولة يائسة لصرف الأنظار عن بؤرة الشر الحقيقية، من خلال طمس الأشكال الأخري من العنف وصولا إلي المشاركة في ممارستها؟ فبحسب رواية معروفة قام ضابط ألماني بزيارة بيكاسو في مرسمه الباريسي في أيام الحرب العالمية الثانية وهناك صعق الضابط بلوحة "غيرنيكا" وما فيها من "فوضي" حداثية، فسأل بيكاسو: "هل أنت من فعل هذا؟" فرد بيكاسو بهدوء: "لا، أنتم فعلتم هذا". اليوم هناك ليبراليون كثر يسألون القلة اليسارية الباقية التي لا تزال تراهن علي نوع من التحول الإجتماعي الجذري، حين مواجهة تفجرات عنيفة مثل حوادث النهب الأخيرة في ضواحي باريس قائلين: ألستم أنتم من فعل هذا؟ هل هذه هي النتيجة التي أردتم الوصول إليها ؟ وعلينا ان نجيب مثل بيكاسو: "لا أنتم من فعل هذا ،هذه هي النتيجة الحقيقية المترتبة عن سياستكم أنتم!" (٣)

يربط جيجك العنف مع الرأسمالية، ويري أن أغلب أشكال العنف اليوم هي عبارة عن نتائج مباشرة أو غير مباشرة للرأسمالية يقول جيجك: "من الضروري وضع مفهوم العنف الذاتي في إطاره التاريخي الواضح, حيث إتخذ شكلاً جديداً مع الرأسمالية, وصف ماركس الدوران المجنون الذاتي التحفيز لرأس المال الذي يبلغ في أيامنا أوج مساره في الإفراط في المراهنات علي المستقبل، ومن السذاجة القول أن شبح هذا البعبع الذاتي النشوء الذي يتابع مساره غير آبه بأي هاجس إنساني أو بيئي ما، ما هو إلا تجريد أيديولوجي يقبع خلفه أناس حقيقيون وأشياء طبيعية تعتمد عليها القدرات الإنتاجية وحركة رأس المال الذي يبقي دائبا ومتحفزا لإلتهامهم مثل

---

(١) المصدر نفسه- ص ٧

(٢) المصدر نفسه - ص١٢

(٣) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص١٩

طفيلي عملاق، ولعل المشكلة هي أن "التجريد" ليس من تصور المضاربين الماليين الخاطئ للواقع الإجتماعي فحسب، بل هو "فعليا" بالمعني الدقيق تصور لتحديد بنية السياق المادية الإجتماعية، فمصير شرائح كاملة من الناس، بل وبلدان بكاملها يمكن أن يتقرر أحيانا بفعل التلاعب الأناني المضارب لرأس المال الذي يجري وراء هدفه الربحي مطمئنا وغير مكترث بمدي تأثير حركته في الواقع الإجتماعي، هكذا ليس هدف ماركس إختزال هذا البعد الثاني إلي الأول في المقام الأول، بمعني تسليط الضوء علي كيفية إنبثاق التلاعب اللاهوتي المجنون بالمنتوجات من رحم تناقضات "الحياة الفعلية"، بل ربما أراد القول إن المرء لا يستطيع الإستيعاب السليم للأول (الواقع الإجتماعي للإنتاج المادي والتفاعل الإجتماعي) من دون أن يفهم الثاني، فحركة رأس المال الميتافيزيقية ذاتية الدوران وهي التي تدير المشهد وتوفر المفتاح لتطورات الحياة الفعلية وكوارثها، هنا بالذات يكمن عنف الرأسمالية المنهجي الأساس وهو عنف أغرب إلي درجة لا تقبل القياس من أي عنف سوسيوأيديولوجي مباشر ينتمي إلي ما قبل الرأسمالية، إنه عنف ما عاد قابلا لأن يعزي إلي أفراد مشخصنين وإلي نياتهم "الشريرة"، بل هو عنف "موضوعي" خالص ومنهجي ومجهول، نجد أنفسنا هنا في مواجهة الإختلاف اللاكاني نسبة إلي الفيلسوف الفرنسي جاك لاكان بين الواقع والفعلي: "الواقع" هو الواقع الإجتماعي لأناس حقيقيين منخرطين في التفاعل كما في السيرورات الإنتاجية، في حين أن الفعلي هو المنطق الطيفي"غير الواضح"،"المجرد" العنيد لرأس المال الذي يحدد ما يجري في الواقع الإجتماعي، يمكن للمرء أن يختبر هذه الهوة بطريقة محتملة حين يزور بلدا باتت فيه الحياة ركاما يسودها الفوضي ونحن نري قدرا كبيرا من التدهور البيئي والبؤس الإنساني, غير أن التقرير الإقتصادي الذي يقرأه المرء لاحقا ينبئنا أن وضع البلد الإقتصادي "سليم ماليا"، فالواقع لا يهم بقدر ما يهم وضع رأس المال".[١]

ويتابع جيجك: "أليس هذا صحيحاً اليوم أكثر من أي وقت مضي؟ ألا تشير ظواهر تنسب إلي الرأسمالية الإفتراضية (الصفقات التجارية المستقبلية وجملة المضاربات المالية المجردة) إلي 'التجرد الفعلي" في أتقي صوره التي تتجاوز، بدرجة لا تقبل المقارنة ما كان في زمن ماركس؟ بإختصار لا يكمن الشكل الأسمي للأيديولوجيا في الوقوع أسيرا لطيفية أيديولوجية ناسيا أساسه في الناس الفعليين وعلاقاتهم، بل يكمن تحديدا في تجاوز فعلية هذه الطيفية وفي التظاهر بمخاطبة "أناس فعليين ومعرفة هواجسهم" علي نحو مباشر، فزوار بورصة لندن يحصلون مجانا علي كراس يبين أن سوق البورصة لا يتناول تقلبات ملغزة، بل أناسا فعليين ومنتوجاتهم، وما هذه إلا أيديولوجيا في أنقي تجلياتها.[٢]

يقول جيجك: "يدرك باديو الحالة الإستثنائية الوجودية للرأسمالية التي تقود دينامياتها كل إطار مستقر من إعادة التمثيل، المهمة المؤداة عادة من قبل نشاط سياسي نقدي (بتقويض إطار تمثيل الدولة) هي مؤداة مسبقا من قبل الرأسمالية نفسها التي تفرض إشكالية علي فكرة باديو عن السياسة "التبعية" في تشكيلات قبل رأسمالية، كل دولة، كل إعادة تمثيل شمولية، ألمحت إلي إيجاد مستثني، فكرة "الإلتواء الظرفي"،"جزء اللا جزء" العنصر الذي بالرغم من أنه جزء من النظام، إلا أنه ليس له مكان مناسب فيه، كان يجب علي السياسات التحررية إختراع من موقف هذا الإفراط عنصر "زائد" الذي بالرغم من أنه جزء من الحالة، لا يمكن حسابه في مصطلحاتها، لكن ما الذي يحدث عندما لا يعود النظام يستثني الزائد، وبدلا من ذلك يفرضه مباشرة كقوته الموجهة، كما لو أن حالة الرأسمالية التي يمكن لها فقط إعادة إنتاج نفسها من خلال ثورتها الذاتية المستمرة

---

(١) المصدر نفسه - ص ٢٠

(٢) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ٢١

من خلال التجاوز المستمر لحدودها لصوغه بطريقة أخري: إذا ما الحدث السياسي، التدخل التحرري في العالم التاريخي المقوض هو دائما موصول بنقطة الإفراط "لاعوجاجه العرضي" بالتحديد يقوض محيط ذلك العالم، فكيف علينا جعل التدخل السياسي في الكون الذي هو في نفسه بلا عالم أصلا والذي من أجل إعادة إنتاجه لم يحتاج لأن يكون محتوي بقيود العالم، حوصر باديو هنا في التقلب عندما سحب النتيجة "المنطقية" في كون "بلا عالم" (الذي هو اليوم كون الرأسمالية العالمية). ينبغي أن يكون هدف السياسات التحررية المعارض الدقيق "التقليدي"، والمهمة اليوم هي تشكيل عالم جديد، وتقديم دلالات تخصصية جديدة ستوفر "التصميم المعرفي".[١]

يتابع جيجك: "بالطبع الشكل الرأسمالي التحرري القائل بالمساواة "اللا-إقليمية" ليس هو نفس الشكل الرأسمالي الما بعد حداثي، لكن مع ذلك يغير جذريا مصطلحات النضال التحرري بدقة، لم يعد العدو النظام التراتبي المؤسس للدولة، كيف إذن نثور نظاما مبدؤه متواصل الثورة الذاتية؟ أكثر من حل للمشكلة نواجهه اليوم، الشيوعية هي نفسها إسم المشكلة: إسم لمهمة صعبة للهرب من حدود السوق وإطار الدولة، مهمة لا يوجد من أجلها صيغة سريعة، "إنها شئ بسيط وحسب من الصعب جدا فعله".[٢]

يتابع جيجك: "بمواجهة الإنفجار المعاصر للرأسمالية في الصين، كثيرا ما يسأل محللين متي ستدافع الديموقراطية السياسية الملازم السياسي "طبيعي" للرأسمالية عن نفسها، تحليلات أقرب سرعان ما بددت هذا الأمل، ماذا لو أن الديموقراطية الموعودة في المرحلة الثانية التي تتبع وادي دموع المستبد لم تأت أبدا؟ هذا ربما هو ما جد بشأن الصين اليوم: الشك بأن نسختها من الرأسمالية الإستبدادية لا تذكر بماضينا فحسب، لكن إشارة للمستقبل، ماذا لو أن "مزيج فاسد من السوط الآسيوي وسوق الأسهم الأوروبية" (وصف تروتسكي للقيصرية الروسية) يثبت نفسه ليكون إقتصاديا أكثر دقة من الرأسمالية الليبرالية؟ ماذا لو أنها إشارات عن أن الديموقراطية كما نفهمها لم تعد شرطا وقوة محفزة لتطور الإقتصاد بل عقبة ؟ ".[٣]

ويوضح جيجك العلاقة بين العنف واللغة فيقول: "لعل كون كلمتي عقل (reason) وعِرق (race) من جذر لاتيني واحد: راشيو (ratio) ينبئنا بشئ: اللغة هي القاسم الأول والأعظم، لا المصلحة الأنانية البدائية ذلك أننا (نستطيع) نحن وجيراننا "أن نعيش" بفضل اللغة "في عوالم مختلفة" حتي حين نكون مقيمين في الشارع ذاته، ما يعنيه هذا هو أن العنف اللفظي ليس تشويها ثانويا، بل هو بالتحديد الملاذ الأخير لكل عنف بشري، خذوا مثال مذابح معاداة السامية، ذلك المثال الذي يستطيع أن ينطق بإسم العنف العنصري كله، إن ما يجده مقترفو المذابح غير محتمل ومثيراً للغضب، الأمر الذي يردون عليه هو واقع اليهود المباشر، صورة، طيب "اليهودي" المتداول، الذي جرت هيكلته وبلورته في تراثهم يبقي اللغز بالطبع متمثلا في أن فردا واحدا لا يستطيع بمفرده أن يميز بأي طريقة بسيطة بين يهود فعليين وصورتهم المنحوتة في العقول المعادية للسامية، هذه الصورة تبالغ في تحديد الطريقة التي أتعامل بها مع اليهود الفعليين أنفسهم، بل وتؤثر إضافة إلي ذلك في الطريقة التي يتعامل بها اليهود مع أنفسهم، ما يجعل يهوديا فعليا يلتقي به شخص معاد للسامية في الشارع، شخصا "لا يطاق" أما ما

---

(١) سلافوي جيجك: **"بداية كمأساة وأخري كمهزلة"** – مصدر سابق- ص ١٩٤

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧

(٣) سلافوي جيجك: **"بداية كمأساة وأخري كمهزلة"** – مصدر سابق- ص ٢٠١

يحاول معادي السامية تحطيمه حين يواجه اليهودي، هو هذا البعد الوهمي الذي يكون الهدف الحقيقي لغيظه".[١]

ويري سلافوي أن المبدأ نفسه ينطبق علي كل احتجاج سياسي، حين يحتج العمال علي إستغلالهم فإنهم لا يحتجون علي واقع بسيط، بل علي تجربة مأزقهم الفعلي التي بات لها معني من خلال اللغة، إن الواقع في ذاته بوجوده البليد ليس متعذر التحمل في أي وقت إنما اللغة، أي عملية إضفاء الصفة الرمزية علي الواقع، هي التي تجعله كذلك فحين نكون في صدد التعامل مع مشهد لحشد غاضب مندفع في الهجوم ،يعمد إلي حرق المباني والسيارات وقتل الناس ... إلخ، يجب علينا ألا ننسي اللافتات التي يرفعونها والكلمات التي تديم أفعالهم وتبررها، كان هايدجر هو من عكف علي صوغ هذا الملمح علي المستوي الشكلي الوجودي (الأنطولوجي)، حين أقدم في قراءته لكلمة "جوهر" فعلا، علي طرح فكرة مجردة من الجوهر عن الجوهر تقليديا تدل كلمة "جوهر" علي نواة مستقرة تضمن هوية الشئ، أي شئ وفي رأي هايدجر فإن "الجوهر" شئ يعتمد علي السياق التاريخي والكشف الدوري لوجود يحصل في اللغة ومن خلالها يدعو هذا "بيت الوجود"، وعبارته "جوهرة الكلام" لا تعني "جوهر اللغة" بل "جوهرة" تصنع الجواهر (فهذا ما تفعلع اللغة)، أي إجتراح الجواهر التي هي من وظائف اللغة، اللغة حاملة الأشياء إلي جوهرها، إنها "تحركنا" وتدفعنا كي تغدو الأشياء مهمة في نظرنا، إنها مهمة بطريقة خاصة وصولا إلي شق معابر وممرات نستطيع التحرك معها بين الكيانات، حيث تتمكن هذه الكيانات أن تتساند ويحمل الواحد الآخر بوصفها كيانات كما هي، إننا نتقاسم لغة أصلية تنتمي إلي الجذور حين تجري مفصلة العالم بالطريقة ذاتها من أجلنا حين نستمع إلي اللغة ونمكنها من إسماعنا صوتها".[٢]

ويشرح جيجك رؤيته لدور اللغة فيقول: "تعالوا نمط اللثام عن هذا الشأن قليلا، في نظر أي مسيحي في القرون الوسطي يكمن "جوهر الذهب" في تعذر فساده وبهائه السماوي الذي يجعل منه معدنا سماوياً "مقدساً"، أما بالنسبة إلينا فهو ليس سوي معدن مرن يستخدم لأغراض صناعية أو مادة ملائمة لأغراض جمالية, ثمة مثال آخر: ذات يوم كان صوت المغني الخصي هو صوت الملائكة الحقيقي، تحديدا قبل الهبوط من الفردوس، أما في نظرنا نحن اليوم فهو قبيح ومستهجن, هذا التحول في حساسيتنا حدث بتأثير اللغة، إنه يتمفصل مع التحول في عالمنا الرمزي ثمة عنف عميق الجذور يكمن في قابلية مفهوم "الجوهر" هذا في اللغة، يتم حرف عالمنا قليلا فيفقد براءته المتوازنة، حيث يبوح لون متحيز واحد بنبرة الكل، وهكذا فإن هايدجر عمل علي توظيف فكرة العنف "الوجودي" الملازم لكل موقف أساس في الفضاء الجديد المشترك لشعب أنجزه رهط من الشعراء والمفكرين والسياسيين، ويتعين علي المرء دائما أن يتذكر أن هذا البعد " الشيطاني / المخادع " يعود في نهاية الأمر إلي اللغة نفسها".[٣]

يري سلافوي أن العنف عادة ما يجري النظر إليه من منطلق الحوزة التي تشهد قيام مساومة التوافق والمساعدة المتبادلة بوضع معيار الوجود (الكينونة) بما يجعل العنف كله محكوما حتما بأن يكون مجرد اضطراب أو إزعاج، فالعنيف الخلاق الذي يبادر إلي ما لم يقل، الذي يقتحم المجهول، الذي يلوي عنق من لم يسبق له ذلك، والذي يظهر ما لم يكن مرئيا، هذا العنيف يبقي متحليا بالجرأة في جميع الأزمان، لذا فإن فاعل العنف الذي لا يعرف معني اللطف والإسترضاء

(١) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص ٧١
(٢) الموضع نفسه
(٣) سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - مصدر سابق- ص٧٢

(بالمعني الاعتيادي) ولا معني التهدئة والتسكين بالنجاح أو النفوذ وعبر تأكيدهما، بالنسبة إلي شخص كهذا تبقي الكارثة هي كلمة نعم الأعمق والأهم للقرار الجوهري, في حين يضطر الطاغي لدي تنفيذه أو عند تصديه للإيقاع المطرد والضاغط للحياة اليومية والمألوفة إلي إستخدام العنف، وفعل العنف هذا المبادرة المقررة هذه إلي السير في طريق وجود الكائن ضمن الكائنات يؤديان إلي إخراج البشرية من الطور القريب المباشر والمألوف.[١]

في هذه الفقرة المقتبسة من هايدجر تبين أنه لا يكتفي بتقديم تنويعة جديدة علي شخصيته البلاغية المعتمدة المعكوسة "لا علاقة لجوهر العنف بما هو وجودي من عنف،ومعاناة،وحرب,ودمار ... إلخ، فجوهر العنف كامن في الطابع العنفي المفروض أساسا لنمط الجوهر الجديد بالذات تكشف الكيان المشترك لوجود الجماعة بذاتها ضمنيا"، لكن بوضوح يقرأ هايدجر هذا العنف الجوهري بوصفه شيئا يؤسس أو في الأقل يفتح الفضاء ويمهد بجملة تفجرات العنف الوجودي أو العنف المادي نفسه، علينا إذا في النتيجة ألا نحصن أنفسنا ضد تأثيرات العنف الذي يتحدث عنه هايدجر من خلال "الإكتفاء" بوضعه في خانة "الوجود" (الأنطولوجيا)، وعلي الرغم من أنه عنيف بذاته فارضا إفصاحا وكشفا معينا للعالم، فإن هذا العالم ينطوي أيضا علي علاقات إجتماعية لها تأثير كبير.[٢]

هناك إذا علاقة مباشرة بين العنف الوجودي وتركيبة العنف الإجتماعي (عنف إدامة علاقات هيمنة مفروضة عنوة) الذي يخص اللغة أو ينتمي إليها، إن "سور اللغة" الذي يفصلني علي الدوام عن جحيم شخص آخر هو الذي يتولي، في الوقت نفسه مهمة فتح الجحيم وإدامته وهو المعوق نفسه الذي يفصلني عما هو خلف, وهو الذي يبدع أوهامه وسرابه.[٣]

سادساً: دوافع العنف عند الجماهير

يقول جوستاف لوبون في كتابه "سيكولوجيا الجماهير" عن إجرام الجماهير: "ما إن تسقط الجماهير بعد فترة الهيجان والحماسة في حالة الناس الآليين غير الواعين والمقودين من قبل التحريضات والمحرضات حتي يصبح صعبا علينا وصفها بالمجرمة في أي حالة من الأحوال، ولكن مع ذلك فقد إحتفظت بهذا الوصف الخاطئ لأنه كان قد ترسخ من قبل البحوث النفسية، لا ريب في أن بعض أعمال الجماهير هي مجرمة إذا ما أخذناها بذاتها ولذاتها، ولكنها عندئذ ستكون مجرمة مثلما أن إلتهام النمر لهندي ما يعتبر عملا إجرامياً بعد أن كان قد ترك صغاره يمزقونه للتسلي به. إن جرائم الجماهير ناتجة عموما عن تحريض ضخم والأفراد الذين ساهموا فيها يقتنعون فيما بعد بأنهم قد أطاعوا واجبهم، وهذه ليست أبدا حالة المجرم العادي فتاريخ الجرائم التي إرتكبتها الجماهير توضح لنا ما سبق".[٤]

ويري لوبون أن القاتل يخضع بكل طاعة للتحريض لأنه صادر عن قوة جماعية وجماهيرية، وهو يشعر بأنه قد قام بعمل مجيد وطبق قناعة طبيعية لأنه حظي بالإستحسان

---

(١) الموضع نفسه
(٢) المصدر نفسه ص ٧٤
(٣) المصدر نفسه ص ٧٦

(٤) غوستاف لوبون: **"روح الثورات والثورة الفرنسية"**- القاهرة - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- ٢٠١٢- ص ١٦١

الإجماعي من قبل مواطنيه، وعمل مشابه لهذا يمكن أن يوصف بالإجرامي من الناحية القانونية ولكن ليس من الناحية النفسية. إن الخصائص العامة للجماهير المدعوة بالمجرمة هي بالضبط نفس الخصائص التي لاحظناها لدي جميع أنواع الجماهير هذه الخصائص هي: قابلية التحريض، السذاجة أو سرعة التصديق، الحركية والخفة، المبالغة في العواطف سواء أكانت طيبة أم سيئة، تبدي بعض أشكال الأخلاقية ... إلخ، ونحن نعثر علي كل هذه الخصائص لدي نوع من أنواع الجماهير التي تركت أبشع الذكريات وأكثرها إجراماً في تاريخنا".[١]

ويتفق جيجك مع لوبون، حيث يقول: "ما الذي يمكن فعله في أعقاب حركة إحتلوا وول ستريت، عندما وصلت المظاهرات التي بدأت بعيدا في الشرق الأوسط، اليونان، أسبانيا، المملكة المتحدة إلي المركز، وهي الآن تحظي بتدعيم كبير وتتحرك حول العالم في سان فرانسيسكو وكصدي لحركة إحتلوا وول ستريت، خطب رجل في الجماهير مع دعوة للمشاركة وكأن هذه يحدث بنمط الهيبي في الستينيات من القرن الماضي: "إنهم يسألوننا عن برنامجنا ليس لدينا برنامج، نحن هنا لنقضي وقتا طيبا"، مثل هذه التصريحات تكشف المخاطر العظيمة التي يواجهها المتظاهرون، خطر أنهم سيقعون في غرام أنفسهم وفي غرام المرح الذي يمارسونه في المناطق "المحتلة"، ولكن الكرنفالات رخيصة، الإختبار الحقيقي لقيمتها يظهر فيما يحدث في اليوم التالي، كيف تغيرت حياتنا اليومية أو تتغير، هذا يتطلب عملاً صعباً وصبوراً تكون التظاهرات فيه هي البداية وليست النهاية، الرسالة الأساسية هي: لقد تكسر التابو، نحن لا نعيش في أفضل عالم ممكن، نحن يحق لنا بل نحن مجبرون علي، التفكير في البدائل بإتباع نوع من الثالوث الهيجلي، فإن اليسار الغربي قد عاد لنقطة البداية، بعد التخلي عما يطلق عليه "ماهوية الصراع الطبقي" من أجل جمعية مواجهة العنصرية والنسوية والنضالات الأخري، تعاود "الرأسمالية" البزوغ بوضوح الآن كإسم للمشكلة أول درس يجب تعلمه هو عدم لوم الأفرا ومواقفهم، المشكلة ليست فساد المرء وجشعه، ولكن النظام الذي يشجعه علي الفساد، الحل ليس شعار "في الشوارع الرئيسية وليس وول ستريت" ولكن في تغيير النظام الذي يجعل الشوارع الرئيسية معتمدة علي وول ستريت، دعونا إذا نحظر الحديث عن الجشع، الرموز العامة من البابا إلي من أسفله يقصفوننا بالوصايا لمقاومة ثقافة الجشع المفرط والإستهلاك، ولكن هذا المنظور من الأخلاقية الرخيصة هو عملية أيديولوجية إن كانت هناك واحدة، الإجبار (الممتد) المحفور في النظام نفسه يترجم هنا إلي مسألة خطيئة شخصية، وضعف نفسي خاص، كما قال لاهوتي مقرب من البابا "الأزمة الحالية ليست أزمة رأسمالية ولكن أزمة أخلاقية" ملمحا بحذر إلي أن المتظاهرين عليهم أن يستهدفوا الظلم والجشع والإستهلاكية ... إلخ. بدلا من الرأسمالية نفسها، يمكننا أن نهنئ اللاهوتي علي أمانته وبنفس القدر علي الوضوح الذي صاغ به النفي المتضمن في النقد المؤخلق، الفكرة في التأكيد علي الأخلاقية هي منع نقد الرأسمالية، دورة الدفع الذاتي للرأسمالية تظل الواقع المطلق لحيواتنا بشكل أكبر من السابق، الوحش الذي لا يمكن السيطرة عليه في الحقيقة، هذا يحيلنا إلي حظرنا التالي: علينا أن نرفض النقد المبسط ل "الرأسمالية المالية"، وكأن هناك شكلا آخر "أكثر عدالة" من الرأسمالية، علينا أيضا أن نتجنب ببساطة ذلك الإغواء الذي يجعلنا نعجب بالجمال المطلق للإنتفاضات المحكوم عليها بالفشل".[٢]

ومن هنا نجد مدي التقارب بين نظريتي سلافوي جيجك وغوستاف لوبون حول دوافع العنف عند الجماهير، يقول غوستاف لوبون عن الجماهير غير المتجانسة: "إن نفسية الناس

---

[١] المرجع نفسه- ص١٦٢

[٢] سلافوي جيجك: **سنة الأحلام الخطيرة-** مصدر سابق- ص٨٩

المنخرطين في الجمهور تختلف أساسا عن نفسيتهم الفردية، وإن الذكاء الفردي لا يلعب أي دور في هذا المجال، فدوره يتعطل حينما يصبح الإنسان منخرطا في الجماعة، وحدها العواطف اللاواعية تلعب دوا آنذاك، وهناك عامل أساسي وهو العرق، وهو يتيح لنا تقسيم مختلف أنواع الجماهير غير المتجانسة والتمييز بينها، إن هذا العامل هو أكبر عامل قادر علي تحديد أعمال البشر وحسمها، وتأثيره يتجلي أيضا في خصائص الجماهير، فالكثرة المؤلفة من أفراد لا علي التعيين ولكن ينتسبون إلي عرق واحد كالإنجليز أو الصينيين تختلف جدا عن الكثرة المؤلفة أيضا من أفراد لا علي التعيين ولكن من أعراق مختلفة كالروس والفرنسيين والإسبان ... إلخ.

إن الإختلافات العميقة الناتجة عن التركيبة الذهنية الموروثة للبشر فيما يخص طريقة الإحساس والتفكير تتجلي واضحة للعيان ما إن تتوافر بعض الظروف النادرة جدا، أقصد الظروف التي تجمع في نفس الجمهور وبنسب متساوية تقريبا أفرادا ينتمون إلي جنسيات مختلفة أيا تكن تماثلية المصالح التي تجمعهم ظاهريا، والمحاولات التي قام بها الإشتراكيون لكي يصهروا ممثلي الحركات العمالية في كل بلد في مؤتمر كبير واحد باءت دائما بالفشل وإنتهت بظهور التناقضات والإختلافات، فالجمهور اللاتيني أيا تكن درجة ثوريته أو محافظته سوف يلجأ إلي تدخل الدولة من أجل تحقيق مطالبه، فهو دائما من مؤيدي الوحدة المركزية، كما أنه من مؤيدي الإستبدادية القيصرية بدرجة تقل أو تكثر، وأما الجمهور الإنجليزي أو الأمريكي، فعلي العكس لا يعترف بالدولة وإنما فقط بالمبادرة الخاصة، والجمهور الفرنسي متعلق بفكرة المساواة بشكل خاص وقبل كل شئ، وأما الجمهور الإنجليزي فيتعلق بالحرية، وهذه الإختلافات العرقية تولد عددا من الجماهير مساويا لعدد الأمم تقريبا.[١]

يتابع لوبون: "نستنتج من ذلك أن روح العرق تهيمن كليا علي روح الجمهور، إنها الجوهر القوي الذي يحد من التذبذب والتغير، وتكون خصائص الجماهير أقل حدة وبروزا كلما كانت روح العرق أكثر قوة، وهذا قانون أساسي. إن حالة الجمهور وهيمنة الجماهير تشكلان نوعا من الهمجية أو عودة الهمجية. إن العرق يتخلص أكثر فأكثر من القوة المجنونة للجماهير ويخرج من حالة الهمجية عن طريق إكتساب روح مكونة بشكل راسخ، وفيما عدا عامل العرق فإن التصنيف الوحيد المهم بالنسبة للجماهير غير المنسجمة هو الفصل بين الجماهير المغفلة كجماهير الشارع والجماهير غير المغفلة كالمجالس البرلمانية وهيئات المحلفين مثلا, إن الشعور بالمسؤولية معدوم لدي الجماهير الأولي ومتطور لدي الثانية وهو يفرض علي أعمالهم توجهات مختلفة غالبا".[٢]

يتابع لوبون: "هناك تشابه وثيق بين الخصائص التشريحية للكائنات وخصائصها النفسية، وفي الخصائص التشريحية نجد بعض العناصر الثابتة أو القليلة التغير جدا إلي حد أنه تلزمنا مدة العصور الجيولوجية لكي نغيرها، وبالإضافة إلي هذه الخصائص الثابتة التي لا تختزل توجد خصائص أخري متحركة جدا تعدلها أحيانا البيئة ومهارة مربي الحيوانات أو النباتات إلي درجة أنهما تخفيان خصائصهما الأساسية حتي بالنسبة لعين المراقب اليقظ، ونلاحظ نفس الظاهرة بالنسبة للخصائص الأخلاقية، بالإضافة إلي العناصر النفسية الراسخة لعرق بشري ما توجد عناصر متحركة ومتغيرة، ولهذا السبب فإننا عندما ندرس عقائد شعب ما وآراءه فإننا نلاحظ دائما وجود أرضية ثابتة جدا، وعليها تنضاف آراء متحركة تحرك الرمل الذي يغطي الصخور، هكذا نجد أن عقائد الجماهر وآراءها تشكل طبقتين متمايزتين تماما، فمن جهة نجد العقائد الإيمانية

(١) غوستاف لوبون: مرجع سابق – ص ١٥٩
(٢) غوستاف لوبون: مرجع سابق – ص ١٥٩

الكبري والدائمة التي تدوم قرونا عديدة والتي ترتكز عليها حضارة بأكملها، نضرب علي ذلك مثلا في الماضي التصور الخاص بالنظام الإقطاعي، ثم الأفكار المسيحية، ثم أفكار الإصلاح المسيحي (لوثر)، وأما في عصرنا الحاضر فنضرب عليها مثلا مبدأ العقلانية أو العقلانيات، ثم الأفكار الديموقراطية والإجتماعية، وهناك من جهة أخري الآراء العابرة والمتغيرة التي تتفرع غالبا عن مفاهيم عامة يشهد ظهورها وموتها كل عصر، نضرب علي ذلك مثلا النظريات التي توجه الفنون والآداب في لحظة معينة كالنظرية المولدة للحركة الرومنطيقية أو النزعة الطبيعية..إلخ, فهي بنفس سطحية الموضة العابرة وتتغير كالموجات الصغيرة التي تظهر وتختفي بإستمرار علي سطح بحيرة ذات مياه عميقة، أما العقائد الكبري العامة فذات عدد محصور جدا وتشكلها وتلاشيها يشكلان بالنسبة لكل عرق تاريخي نقاط الذروة في تاريخه، إنها تشكل الهيكل العظمي للحضارات.[١]

ويري لوبون أن الرأي العابر ينفذ بسهولة إلي روح الجماهير، ولكن من الصعب جدا أن نرسخ فيه عقيدة دائمة، كما أنه من الصعب تدمير هذه العقيدة بعد تشكيلها لا يمكن تغييرها إلا بعد ثورات عنيفة، وبعد أن تكون العقيدة قد فقدت تقريبا كل هيمنتها علي النفوس. إن الثورات تساعد عندئذ علي التدمير الكلي للعقائد التي أصبحت مهجورة ولكنها لا تزال راسخة بسبب نير الأعراف والتقاليد والثورات التي تبتدئ تعني بالضرورة عقائد إيمانية تحتضر".[٢]

وفي كتابه "روح الثورات والثورة الفرنسية" يقول غوستاف لوبون: "ذكرت غير مرة أن عدم التسامح يلازم المعتقدات القوية، والثورات الدينية والسياسية الدالة علي ذلك كثيرة، وقد أثبتت هذه الثورات أن عدم التسامح بين أنصار المعتقدات المتقاربة يكون أشد مما بين أنصار المعتقدات المتباعدة كالإسلام والنصرانية مثلا،فإذا نظرنا إلي المعتقدات التي شطرت فرنسا زمنا طويلا رأيناها لا تختلف إلا في الأمور الثانوية ،فالكاثوليكي والبروتستانتي إلههما واحد ولا يختلفان إلا في كيفية عبادته، ولو كان للعقل شأن في صوغ معتقدهما لآراءهما أن الله لا يبالي بالصورة التي يعبد عليها، ولما كان العقل غير مؤثر في دماغ المؤمنين إستمر البروتستانت والكاثوليك علي الإقتتال بقسوة، وما سعي فيه الملوك للتأليف بين الفرقتين ذهب أدراج الرياح، وقد نشأ عن مثل هذه الاحقاد حروب دينية ضرجت فرنسا بالدم زمناً طويلاً، فمدنها دمرت والدماء سفكت، وسرعان ما إتصف هذا النزاع بالقسوة والوحشية الخاصة بالوقائع الدينية والسياسية".[٣]

يتابع لوبون: "لم تكن الثورات الدينية كلها سيئة مثل ثورة الإصلاح الديني، بل كان تأثير الكثير منها في تقويم الناس وتهذيب نفوسهم عظيماً جداً، فهي بمنحها الشعب وحدة أدبية تزيد قوته المادية كثيراً، وقد شوهد ذلك لما حول محمد - بما جاء به من الإيمان - قبائل العرب الضعيفة إلي أمة عزيزة ولا يقتصر المعتقد الديني الجديد علي جعل الامة متجانسة بما يأتي بما يتعذر علي أي فيلسوف أو قانون أن يأتي بمثله، أي أنه يغير عواطف الأمة الثابتة، وقد لوحظ ذلك وقتما قضت أكبر ثورة تاريخية علي الوثنية وأقامت مقامها عبادة إله جاء من سهول بلاد الجليل، فقد دعا هذا الدين الجديد الناس إلي العدول عن كل نعيم في هذه الحياة ،ليكونوا خالدين في ملكوت السماوات، وهذا الدين الذي أقبل عليه الأرقاء والبائسون والمحرومون طيب العيش أيما إقبال لوعده إياهم نعيما دائما بدلا من حياة لا أمل فيها، قد هان أمره علي الأغنياء أيضاً، وهذا يثبت لنا ما للإيمان

(١) المرجع نفسه- ص ١٤٦
(٢) الموضع نفسه
(٣) غوستاف لوبون: مرجع سابق – ص ٣٥

الجديد من السلطان علي النفوس، ولم تقتصر الثورة النصرانية علي تحويل العادات، بل أثرت تأثيراً كبيراً في سير الحضارة مدة ألفي سنة".[١]

فمتي يتم النصر لمعتقد ديني تلائمه عناصر الحضارة ملائمة تتحول بها ولا يفعل الكتاب ورجال الأدب والفن والفلاسفة وقتئذ غير الإشارة إلي ذلك المعتقد الجديد في تأليفهم، وعندما ينتصر الإيمان سواء أدينيا كان أم سياسيا لا يؤثر فيه العقل، وإنما يجد هذا العقل مسوغات يزكيه بها، وربما كان أيام ملك خطباء ولاهوتيون كثيرون يثبتون ما في القرابين البشرية من الفوائد كعدد من ظهر في الأزمنة الأخري من الخطباء وعلماء اللاهوت الذين مجدوا محاكم التفتيش، ولا تعرف الأمم ذات المعتقدات القوية شيئا من التسامح، فالأمم المشتركة هي التي كانت متسامحة في القرون القديمة والأمم المتسامحة في القرون الأخيرة هي التي يمكن نعتها بأمم ذات أرباب كثيرين، فهي مثل الإنجليز والأمريكان مفترقة علي فرق دينية كثيرة وتعبد آلهة مختلفة بأسماء واحدة، غير أن تعدد المعتقدات الذي يجعلها متسامحة يضعفها في نهاية الأمر، وهنا نري أنفسنا إزاء معضلة نفسية لم تحل حتي الآن وهي: حيازة معتقد قوي ومتسامح معا، ظهر لنا من البيان الوجيز السابق ما للثورات الدينية من الشأن الأعظم وما للمعتقدات من السلطان الأكبر، فهي التي تقود التاريخ علي الرغم من قيمتها العقلية القليلة، وهي التي تقي الأمم من أن تكون أشخاصا ضعفاء لا تربطهم رابطة، وقد إحتاج الإنسان إليها في كل عصر ليوجه أفكاره نحو مطلب، وما إستطاعت أية فلسفة أن تقوم مقامها حتي الآن".[٢]

ويتفق سلافوي جيجك مع غوستاف لوبون، حيث يقول: "يحتاج المرء لكيان قوي قادر علي الوصول لقرارات سريعة وإدراكها بأي قوة قد تكون ضرورية، وهذا ليس كافيا أن ترفض الحكم غير المسيس للخبراء، علي المرء أيضا أن يبدأ في التفكير بجدية عما يريده من وضع التنظيم الإقتصادي المهيمن أن يتخيل ويجرب أشكالا بديلة من التنظيم، أن يبحث عن بذور الجديد في الحاضر، الشيوعية ليست مجرد كرنفال من التظاهر الجماهيري الذي يجبر النظام علي التوقف, إنها أيضا شكل جديد من التنظيم والإنضباط والعمل الكثير بغض النظر عما يمكن أن نقوله عن لينين، فقد كان واعيا جدا بهذه الحاجة الملحة لأشكال جديدة من الإنضباط والتنظيم، علي أي حال فإن ما يتبع بالضبط الضرورة الديالكتيكية، هو هذا الحث علي إبتكار أشكال جديدة من التنظيم من المفترض أن تظل بعيدة، ما يجب مقاومته في هذه المرحلة هو أي ترجمة متسرعة لطاقة المتظاهرين إلي مطالبات مستقرة، لقد خلق المتظاهرون فراغاً، فراغاً في حق الايديولوجيا المهيمنة وهناك حاجة للوقت لملء مساحة هذه الموضة الإيجابية، هذا هو سبب أننا لسنا بحاجة لأن نقلق كثيرا من الهجملت الموجهة لإحتلوا وول ستريت، فإنتقادات المحافظين المتوقعة سهلة بما يكفي للإجابة عنها، هل المتظاهرون معادون لأمريكا؟ عندما يزعم الأصوليون المحافظون بأن أمريكا دولة مسيحية، فعلينا أن نذكر ما هي المسيحية في الحقيقة: الروح القدس مجتمع المؤمنين الحر المتساوي المتحد بالحب، إنهم المتظاهرون هم من يمثلون الروح القدس، في حين أن وول ستريت الوثنية مستمرة في عبادة أصنام زائفة (مجسدة قي تمثال الثور).[٣]

هل المتظاهرون عنيفون؟ حقيقي أن لغتهم ربما تبدو محاربة (إحتلوا ... وهكذا) ولكنهم عنيفون فقط بطريقة عنف المهاتما غاندي نفسها، إنهم عنيفون بالقدر الذي يريدون فيه أن يضعوا عائقا في الطريق الذي تمضي عليه الأشياء، ولكن كيف يقارن هذا بالعنف المحتاج للحفاظ علي

---

(١) المرجع نفسه- ص ٣٨

(٢) المرجع نفسه – ص ٣٨

(٣) سلافوي جيجك: **"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص ٩٣

التوظيف السهل للنظام الرأسمالي العالمي؟ يقال عنهم فاشلون، لكن ألم يكن الفاشلون الحقيقيون هم هؤلاء الذين تطلب إنقاذهم مئات المليارات من دولاراتنا في وول ستريت؟ يقال عنهم إشتراكيون، ولكن هناك في الولايات المتحدة إشتراكية بالفعل للأغنياء، هم متهمون بعدم إحترام الملكية الخاصة، ولكن تكهنات وول ستريت التي أدت للإنهيار في ٢٠٠٨ أفنت من الملكيات الخاصة التي إكتسبها أصحابها بكل صعوبة أكثر من أبعد ما يستطيع المتظاهرون الوصول إليه المتظاهرون ليسوا شيوعيين، الطريقة الوحيدة التي يكونون بها شيوعيين هي أنهم يهتمون بالشيوع "شيوع الطبيعة"، المعرفة الذي يهدده النظام يتم التعامل معهم علي أنهم حالمون، ولكن الحالمين الحقيقيين هم هؤلاء الذين يفكرون أن الأشياء يمكن أن تمضي بلا شك بالطريقة التي إعتادت أن تمضي بها، مع تعديلات ظاهرية فحسب، هم بعيدون عن كونهم حالمين، فهم يستيقظون من حلم تحول إلي كابوس، إنهم لا يدمرون أي شئ، ولكنهم يواجهون نظاما في عملية تدمير ذاتي تدريجي المتظاهرون ببساطة يدعون من هم في السلطة للنظر إلي أسفل، إلي الهاوية المفتوحة تحت أقدامهم.[١]

يتابع جيجك: "هذا هو الجزء السهل ولكن المتظاهرين يحتاجون أيضاً إلي أن يحذروا، ليس فقط من أعدائهم ولكن من الأصدقاء الزائفين الذين يزعمون أنهم يدعمونهم بينما هم يعملون بجد علي إضعاف تظاهرهم ويحيلونه إلي إشارة أخلاقية غير مؤذية، في الملاكمة أن تحجم معناه أن تمسك جسد الخصم بذراع أو بالذراعين لمنع أو تعطيل اللكمات، رد فعل بيل كلينتون علي تظاهرات وول ستريت قدم المثال التام للتحجيم السياسي يعترف أن المتظاهرين كانوا "متوازنين - وهذا هو الشئ الجيد"،" إنهم يحتاجون أن يطلبوا شيئا محددا ولا يكونون فقط ضد شئ، إن كنت فحسب ضد شئ ما فشخص آخر سيملأ الفراغ الذي صنعته "، إقترح أوباما أن يقف المتظاهرون خلف مشروع أوباما للوظائف، الذي زعم أنه سيخلق "مليوني فرصة عمل في العام ونصف العام القادمين"، ولكن المتظاهرين خرجوا للشوارع لأنهم إكتفوا بعالم يعاد فيه تدوير علب الكوكاكولا، ويتم التبرع ببضعة دولارات لأعمال الخير أو يتم فيه شراء كابوتشينو ستارباكس فتذهب قيمة ١ بالمئة منه إلي العالم الثالث، هذا الكافي ليجعل الناس تشعر شعورا حسنا.[٢]

يتابع جيجك: "تظاهرات وول ستريت كانت بالتالي بداية، وبلا شك فإن علي المرء دوما أن يبدأ بهذه الطريقة بتعبير شكلي عن الرفض الذي يكون أهم مبدئيا من أي محتوي إيجابي، مثل هذا التعبير فقط يفتح فضاء لمحتوي جديد، بطريقة التحليل النفسي، فالمتظاهرون في الحقيقة فاعلون هيستيريون، يستفزون السيد، ويخلخلون سلطته، والسؤال الذي يتم قصفهم به علي الدوام: "ولكن ما الذي تريدونه؟ " يستهدف بالضبط منع الإجابة الحقيقية هدفه هو:"قلها بمصطلحاتي أو إخرس!" بهذه الطريقة، فعملية ترجمة التظاهر الأول لمشروع مستقر يتم إيقافها ولكن فن السياسة يصر أيضا علي مطلب محدد يكون - بينما هو "واقعي تماما" - مزعجا للب الحقيقي الأيديولوجيا المهيمنة".[٣]

يرتبط العنف بكل أشكاله ومستوياته بالسياسة ارتباطا لا فكاك منه، وقد عكف الباحثون منذ سنوات طويلة وما يزالون على دراسة مفهوم العنف، أنواعه ودوافعه وارتباطه بالسلطة السياسية والنتائج المحتملة لممارسته في النطاقات المختلفة، وطرحوا في هذا المجال العديد من الآراء والنظريات التي توضح جوانب هذه الظاهرة المرتبطة بالإنسان منذ أقدم العصور، والسابقة

---

(١) الموضع نفسه

(٢) سلافوي جيجك: **"سنة الأحلام الخطيرة"** – مصدر سابق- ص ٩٤

(٣) المصدر نفسه ص ٩٥

لظهور السلطة السياسية، ومؤسسات الدولة الحديثة المعروفة، هناك بشكل عام خيط رفيع يمكن أن يميز بين العنف السياسي وسياسة العنف، وإن كانا يهدفان إلى تحقيق الأهداف ذاتها، لكن بمستويات متباينة اعتماداً على حجم الأعمال العنيفة، وطبيعة الأدوات المستخدمة، وحدود قدرة الجهة المتورطة في أعمال العنف ونطاق تأثيراتها الجغرافية والاجتماعية.(١)

فالعنف المتبادل بين الحكومات الشرعية وجماعات التمرد المسلحة مثلا يختلف اختلافا نوعيا عن أشكال العنف الفئوية التي يمارسها مجتمع ما ضد فئة من فئاته، كمثال العنف ضد المرأة هو نوع من العنف يهدف إلى ردع النساء، وتقويض كفاحهن لنيل الحقوق السياسية، وفي الأغلب الأعم فإن القهر اللفظي هو السلاح المستخدم في مثل هذا النوع من العنف، لكن قد تستخدم الأسلحة النارية والبيضاء في حالات أخرى. ومثال ذلك ما ترتكبه حركة "طالبان" وجماعة "داعش" والجماعات الإرهابية. وأيضاً في حالات إساءة استخدام السلطة الروحية في المجتمعات المتخلفة، وفي الملاعب الرياضية هناك نوع من العنف يعرف بالعنف القانوني، لكنه عندما يتجاوز حدوداً معينة يكون عرضة للعقوبات.(٢)

ويتفق أغلب الباحثين على أن العنف يصبح سياسياً عندما تكون أهدافه أو دوافعه سياسية، على الرغم من الاختلاف في طبيعة ونوع الأهداف والقوى المرتبطة بها، والتعريف الأكثر شيوعا للعنف السياسي يقول: إنه "إستخدام القوة المادية أو التهديد بإستخدامها، لتحقيق أهداف سياسية" والصراعات التي تنشب بين الدول هي من أنواع العنف الأشد تدميراً، إلا أن هناك أنواعاً أخرى من العنف تمارسه السلطة القائمة الحائزة شرعية استخدام القوة على جماعات معينة من المواطنين أو حركات تمرد مسلحة، ويعرف العنف في هذه الحالة باسم "العنف الرسمي أو الحكومي".(٣)

وفي اغلب الاحيان يكون العنف قوة ودعماً للسلطة حين يسلم الأضعف لإرادة الاقوى الذي يهدده ويقمعه، بل ان يفجر التهديد فيه اثراً رجعياً. ولهذا يستخدم العنف في اللحظة الجوهرية للابتزاز والرضوخ. وحين تكون السلطة اكثر اصراراً على استخدام العنف، لا يعني ذلك ابداً انها الاقوى دوماً، ولكن تجسيدها للعنف من الممكن ان يكسر مقاومة الخصم فيضطر للرضوخ. وغالباً ما يبرر العنف الذي تمارسه السلطة بالقوانين التشريعية واصدار المراسيم والأوامر والنواهي، التي تظهر بشكل جدي لتبرر وتخدم بها مصلحة القوة. وبهذا يأخذ عنف السلطة شكلاً قانونياً ممنهجاً ومبرمجاً من وقت لآخر، بهدف استخدام القوة والسيطرة، واذا اقتضى الأمر استخدام القسوة، حتى الابادة الجسدية. ويتميز العنف عن السلطة كونه يستند الى الادوات التي تمتلكها.(٤)

إن أخطر ما في العنف هو ارتداؤه ثوب القَداسة وميله إلى الإكثار من اختلاق الذرائع والأعذار، لذلك نري الكثير من أهل السياسة ينطلقون من اعتقاد راسخ مفاده أن ما يقومون به بعيد عن الحرمة وأنه أقرب إلى المطلوب والضروري، منهج التبرير هذا يسعى للي عنق الحقائق وانتقاء الأحكام الشرعية التي تمكنه من التلاعب بعقول الناس وإضفاء الغطاء الشرعي لأعمال

(١) فيصل عابدون - ظاهرة العنف السياسي - موقع صحيفة الخليج --٢٠٢١/https://www.alkhaleej.ae-
تاريخ الدخول ٢٣ - ١ - ٢٠٢١
(٢) المرجع نفسه
(٣) فيصل عابدون : مرجع سابق
(٤) https://elaph.com/Web/opinion/٢٠١١/٥ /٦٥٤٨٢٦.

الشر، بل يسعى البعض إلى اعتبار العنف عملاً مقدساً يتقرب به البعض إلى الله تعالى، وأنه مهمة لا يحملها إلا الأكفاء.[١]

لقد سعى أهل الفلسفة والفكر وعلماء الإنثروبولوجيا والإثنولوجيا إلى البحث في مفهومِ العنف باعتباره من أهم المفاهيم التي تسيطر على نوازع الإنسان وترسم طباعه وتحدد سلوكه ونوع علاقاته مع الإنسان الآخر.[٢] فأكد البعض منهم أنه ما دام المجتمع بطبعه ميالا إلى العنف والسلوك الإيذائي فإنه من البديهي أن نرى نظاما سياسيا ينتهج العنف وسيلة لتثبيت قواعد، وأنه في حال غياب المنهج الأخلاقي في الإصلاح والتربية والذي تنعكس نتائجه من خلال سلوكيات الفرد العنيفة، فإنه يتحتم على النظام السياسي أن ينتهج العنف كوسيلة ويستخدم القوة المفرطة كأداة لتطبيق النظام وفرض سلطة القانون، من هنا يبرز السؤال الذي مازال يحلق فوق رؤوسنا يبحث عن جواب في ثنايا جدلية مفادها من هو المسبب الحقيقي للعنف؟ إن البعض من أهل الفكر والفلسفة يرون أن العنف والسياسة مفهومان متداخلان بشكل كبير بينما يذهب البعض الآخر إلى ضرورة الفصل بين المفهومين، وتأكيده على أن للفكر السياسي مفاهيمه وتطبيقاته الخاصة والتي يَجب أن ينظر إليها على أنها النقيض التام لمفهوم العنف ثم إننا لم نجد من فلاسفة الأغريق الكثير ممن تعرض لتفصيلات دقيقة ومباشرة لمفهوم العنف وماهيته وأسبابه ونتائجه، حيث يُشير الباحث جان لوتشيوني في كتابه "فكر أفلاطون السياسي" إلى تلك المناقشات التي قدمها أفلاطون في الفضيلة والعدالة والمساواة، فقد كان كثير الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية والسياسية التي كانت تتصف بها أغلب الأنظمة السياسية، حيث أنه كان جريئا باقتحامه لساحة الديمقراطية ونقدها باعتبارها جسرا لبلوغ الفوضى القيمية وأداة لتجسيد التجزئة وعدم الاتفاق، وأنها القاعدة التي تسمي "سلطة الدهماء" والتي تتكىء عليها الأنظمة التي تدعي الديمقراطية خطأ، وهي في الحقيقة مفهوم يستخدمه الكثيرون من أجل خلق الفوضى، فكر ديماغوجي وخلط للمفاهيم ينطلق من فكر "الزعيم الأبدي".[٣]

ونرى البعض من المفكرين اتفقوا على أن للسلطة السياسية المجوز والمبرر لاستخدام العنف من أجل السيطرة ولتكون الدولة والشعب والموارد كلها تحت هيمنته ومسخرة من أجل بقائه، وأهم من ذهبوا إلى هذا الاتجاه هو الفيلسوف نيكولو ماكيافيلي، الذي يعتبر من أوائل المؤسسين والمنظرين للمدرسة الواقعية في السياسة، ففي كتابه "الأمير" وهو دراسة في الفقه السياسي أعدها عندما كان في منفاه، ثم أهداه إلى لورينزو دي مديتشي حيث تضمن العديد من الرؤى والأفكار والنصائح التي كانت في أغلبها مبررات للأمير باستخدام العنف من دون اعتبار المعايير القانونية والأخلاقية.[٤]

وقد جاء في بعض فقرات الكتاب: "وهنا يقوم السؤال عما إذا كان من الأفضل أن تكون محبوبا أكثر من أن تكون مهابا أو أن يخافك الناس أكثر من أن يحبوك، ويتلخص الرد على هذا السؤال في أن من الواجب أن يخافك الناس وأن يحبوك ولكن لما كان من العسير الجمع بين الأمرين, فإن من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك، هذا إذا توجب عليك الاختيار بينهما، وقد يقال عن الناس بصورة عامة أنهم ناكرون للجميل، متقلبون، مراؤون ميالون إلى تجنب الأخطار ،شديدي الطمع، وهم إلى جانبك طالما أنك تفيدهم فيبذلون لك دماءهم وحياتهم وأطفالهم وكل ما

---

(١) المرجع نفسه

(٢) أكرم جلال كريم: من هو المسبب الحقيقي للعنف؟- **موقع الميادين نت-**
https://www.almayadeen.net/articles/bg - تاريخ الدخول ٢٣ - ١ - ٢٠٢٢

(٣) أكرم جلال كريم : مرجع سابق

(٤) المرجع نفسه

يمتلكون، طالما أن الحاجة بعيدة نائية، ولكنها عندما تدنو يثورون"، وأما في المنهج السياسي فعبارته المشهورة تعكس ذلك حينما قال: "الغاية تبرر الوسيلة" ويشير إلى أية وسيلة كانت بغض النظر إن كانت تتعارض مع المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية.(١)

وأما الفيلسوف الانكليزي "توماس هوبز" من أهم الفلاسفة الذين تحدثوا عن الخاصية الإنثروبولوجية للعنف، فقد أعدها قاعدة لبناء السلطة المطلقة وسعى من خلال نظريته (العقد الاجتماعي) لتبيان الأُسس والمبادئ العقلانية التي تقوم على أساسها السياسة المدنية والتي من خلالها يمكن تجنب كل الأسباب المؤدية إلى تفكك وانهيار الحكم، حيث أنه وصل إلى نتيجة مفادها أن الآثار السلبية للحكم المستبدّ هي كما يصفها: "أقل وطأة على النفس من البؤس والويلات التي تنجم عن الحرب الأهلية"، لقد انطلق هوبز من قاعدةِ أن الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني يجعلان من الحياة أمرا مستحيلاً بعيداً عن سلطة الدولة السياسية، حيث أشار إلى أن العنف يتولد في الطبيعة الإنسانية بأشكال ثلاثة، الأول: التنافس، حيث يتخذون من العنف وسيلة للوصول إلى منافعهم ومصالحهم، والثاني: هو الحذر والذي يمثل سبيلا لإدراك الأمن، أما الثالث: الكبرياء حيث يميلون إلى العنف من أجل سمعتهم، وهو بالإضافة إلى كل ذلك كان يشير إلى أن الحياة السلمية الخالية من العنف إنما هي مرحلة الاستعداد التي تسبق مرحلة العنف.(٢)

ولأن الإنسان بطبيعته يميل إلى حياة الأمن والأمان فهذا بحد ذاته يشكل عاملا يدفع به إلى تقديم الطاعة للسلطة وللحاكم، حتى وإن كان مستبداً، وأن لا يمس بكيان الدولة وأن يتجنب كل ما من شأنه الانتقاص من هيبتها، وبالتالي فإن هوبز يؤكد من خلال هذه الفرضية وجود علاقة بين طاعة الحاكم وإن كان مستبدا وبين العيش بأمن وسلام، وأن هذه الطاعة هي الضمان لتحقق الأمن. إن السبب وراء تقديم هوبز النظرية التعاقدية والتي أساسها: "الإنسان ذئب للإنسان" هو اعتقاده أن هناك ميولا فطرية للإنسان نحو العنف وهي حقيقة متأصلة في النفس الإنسانية، وعليه فلا بد من وقف هذا العنف وإلا كان سببا في استحالة الحياة ضمن هذا النطاق المجتمعي، وأنه ومن أجل إقامة السلم المجتمعي فإنه كان لزاما تشكيل سلطة عليا تنتهج العنف ضد كل من يسيء إلى النظام وينتهك القوانين المجتمعية.(٣)

شهدت نظريات مكيافيللي وهوبز معارضة من قبل الكثيرين، وقادت إلى امتعاض العديد من الفلاسفة والمفكرين، وأبرزهم جان جاك روسو الفيلسوف الفرنسي الذي قدم منهجه وفلسفته مدافعا عن قيم وجمالية وخيرية النفس الإنسانية، لقد أبدى روسو اختلافه مع منهج هوبز مستعينا بأساس ثابت مفاده أن الطبيعة البشرية هي طبيعة سلمية في الأساس، وأن تشويهها وحملها على الشر أمر غير مبرر، لذلك فإنه من الطبيعي إقامة حياة يسودها السلم والخير من دون اللجوء إلى مبررات العنف من قبل الدولة السياسية وإستغرب روسو كيف لمفكر كبير كهوبز يضع فكره وفلسفته في خدمة الحاكم المطلق، لقد نشر روسو كتابه "العقد الاجتماعي"، ليكون القاعدة والمنطلق للنظام السياسي الشرعي وضمن نظام جمهوري، لقد ابتدأ أطروحة الكتاب بالمقولة المشهورة: "يولد الإنسان حرا وهو مقيد في كل مكان. إن أولئك الذين يعتقدون أنفسهم سادة الآخرين هم في الحقيقة عبيد أكبر منهم".(٤)

---

(١) المرجع نفسه
(٢) المرجع نفسه
(٣) أكرم جلال كريم : مرجع سابق
(٤) المرجع نفسه

ويختلف العنف عن القسوة واستعمال القوة، حين يكون استخدام القوة شرعياً وقانونياً، شرط ان يكون الحاكم شرعياً وعادلاً وقوياً، ولكن ليس من الضروري ان يكون الحاكم قاسيا وعنيفاً في استخدام القوة.(١)

والقسوة بمعنى آخر هي استخدام قصدي ومتعمد لالحاق الاذى الجسدي باشخاص في موقع ضعف وعجز امام استخدام القوة ورد ذلك الأذى. وغالبا ما تتقاطع القسوة مع العنف أو تكون هدفه، تبعا لما يسعى اليه من يستخدم العنف. ولكن لا يمكن تبرير استخدام القوة بأي حال من الأحوال، لأنها تقوم على عنف قصدي. وهناك أنواع من القسوة كالجسدية والنفسية والاجتماعية، غير ان القسوة الجسدية هي المباشرة في اغلب الاحيان، عندما يعتدي انسان على آخر بالقوة او بواسطة أداة ما، في حين تكون القسوة النفسية أو الاجتماعية هي اعتداء بصورة غير مباشرة ومباشرة أحيانا ويكاد تأثيرها في بعض الاحيان اكبر من تأثير القسوة الجسدية، بإعتبارها إهانة ومذلة للانسان تنتج آثارا نفسية شديدة الوطأة على الانسان المكسور.(٢)

لذلك فالمجتمعات التي تعيش نظاما سياسياً مستقراً يستمد شرعيته ووجوده ومبررات ديمومته من خلال أطر قانونية ومنطقية لنظام إنتخابي عادل، يفرز سلطة حاكمة شرعية ومقبوله من قبل الإرادة الجماعية وليس الأقلية المتسلطة، إن هذه السلطة ستكون حينها حاجة مهمة وشرطاً واجباً لبناء الإنسان وقيام نهضة مجتمعية متكاملة قوامها التطور في جميع المجالات، وليعيش أفرادها حياة الفكر والوعي والخلو من الأنا والنفعية حياة بعيدة عن التعقيدات، حينها فقط ستبرز الصفات الإنسانية الخيرة وستنحصر أو قد تنمحي الصفات الشريرة، وسيصبح حينها من اللامعقول استخدام العنف بأي شكل من الأشكال وتحت أي مبرر كان.(٣)

إذن فالعنف هو السلاح الجارح الذي يتناوب على حمله الشعب والسلطة، فقد تحمله الجماهير حينما يعم الظلم ويعيش الناس مرحلة التجهيل الممنهج والتركيع الإجباري وتغييب لغة الوعي والمنطق, والذي قد يكون للسلطة دور في منهجته وتطبيقه فيكون هذا السلاح حينها تهديدا مباشراً ليس لاستقرار وأمن البلاد فحسب بل لوجود السلطة واستمرارها، وهذا ما أشار إليه أرسطو وكذلك الفارابي في المدينة الفاضلة، حيث اعتبرا أن إتباع الحكمة والعدل في السياسة يستدعي الملازمة بين الطبيعة الإنسانية بنوازعها وغرائزها وبين القيم والمفاهيم التي يجب تثبيتها في المدينة النموذجية أو الفاضلة وأن الظلم والتسلط لا تراهما إلا في المدينة الضالة.(٤)

وبالتالي فالإنسان الذي يمتلك الفكر والوعي إنما هو نتاج طبيعي لتلك المدينة المثلى، فطبيعة الإنسان الخلقية والنزعات الخلقية التي تعيش في الذات الإنسانية سوف تتجلي وتتسع في ظل وجود مدينة فاضلة، فيتحتم عليه الارتواء من نبع القيم والمبادئ أينما حلت ووجدت، وبذلك يسقط سلاح العنف ولا يكون حينها أي مبرر لاستخدامه.(٥)

---

(١) https://elaph.com/Web/opinion/٢٠١١/٥/٦٥٤٨٢٦.html

(٢) المرجع نفسه

(٣) أكرم جلال كريم - من هو المسبب الحقيقي للعنف؟ - **موقع الميادين نت**- https://www.almayadeen.net/articles/blog - تاريخ الدخول ٢٣ - ١ - ٢٠٢٢

(٤) المرجع نفسه

(٥) المرجع نفسه

الخاتمة

ناقش الباحث أسس الفعل الأخلاقي عند سلافوي جيجك، وتناول مشكلة إنقسام (الواقع - الفضيلة) وتطور الأخلاق الماركسية، وأن الإلحاد هو دافع للسلام، ويحلل الباحث سبب حيرة الإنسان المتواصلة من وجهة نظر الفيلسوف، ويناقش أيضاً مشكلة العنف، وأخيراً يناقش الباحث مشكلة العنف عند الجماهير.

فإنقسام الواقع والحقيقة يتلخص في أنه لا توجد صلة تقريباً بين ما يحدث بالفعل علي أرض الواقع وبين المثل الأخلاقية، إن الإنقسام عند جيجك بوضوح هو إنقسام بين الأخلاق والأنطولوجيا، ولعل التأثير الكبير لماركس علي جيجك يتمثل في كونه لم يولي الجانب الأخلاقي إهتماماً يذكر في فلسفته عموماً، ويري جيجك أن أكثر الدوافع الفردية إلي السلام وقبول الآخر والمرونة الفكرية تنبع من الإلحاد, حيث أن الأديان - كما يري جيجك - أدت إلي أكثر الأحداث دموية وعنفا علي مر التاريخ، ويضع جيجك تساؤلاته عن جدوي الإختيار وسط عالم ملئ بمتغيرات لا تزيد عقولنا - الراغبة في الإستقلال - إلا إرتباكاً وإرتباطاً بتفاهات لا حصر لها، ويناقش الباحث مشكلة العنف بالرجوع إلي كتب الفيلسوف وخصوصا كتاب **"العنف, تأملات في وجوهه الستة"**، وأخيراً يناقش الباحث دوافع العنف عند الجماهير.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: قائمة المصادر

١. سلافوي جيجك: **"بداية كمأساة وأخري كمهزلة"** – لندن – طوي للثقافة والنشر والإعلام – الطبعة الأولي - ٢٠١٥.
٢. سلافوي جيجك: **"سنة الأحلام الخطيرة"** - بيروت - دار التنوير - الطبعة الأولي – ٢٠١٣.
٣. سلافوي جيجك:**"العنف، تأملات في وجوهه الستة"** - قطر - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - الطبعة الأولي – ٢٠١٧.

ثانياً: قائمة المراجع :

١. آلان باديو وسلافوي جيجك: **الفلسفة في الحاضر** – بيروت – دار النتنوير – الطبعة الأولي – ٢٠١٣.
٢. غوستاف لوبون: **"روح الثورات والثورة الفرنسية"**- القاهرة - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- ٢٠١٢.
٣. أوجين كامنكا: **"الأسس الأخلاقية للماركسية"** - القاهرة - المركز القومي للترجمة – ٢٠١١.
٤. ابن قيم الجوزية: **"زاد المعاد في هدي خير العباد ،محمد ،خاتم الأنبياء وإمام المرسلين"** - القاهرة - المطبعة المصرية ومكتبتها - الجزء الثاني.

٥. فيصل عابدون - ظاهرة العنف السياسي - **موقع صحيفة الخليج** - https://www.alkhaleej.ae/٢٠٢١-٠٨-١٠ - تاريخ الدخول ٢٣ - ١ - ٢٠٢١
٦. أكرم جلال كريم - من هو المسبب الحقيقي للعنف؟- **موقع الميادين نت**- https://www.almayadeen.net/articles/blog - تاريخ الدخول ٢٣ - ١ – ٢٠٢٢
٧. https://elaph.com/Web/opinion/٢٠١١/٥ /٦٥٤٨٢٦.

The foundations of moral action according to Slavoj Žižek

By

Ahmed Ali Arafat

Dr. Ebrahim Tolba Salekha

Professor of Modern and Contemporary Philosophy, Faculty of Arts, Tanta University

Vice Dean for community service and Environmental development

Dr. Mokhtar Abdelmonem El-Bassiouni
Associate professor at philosophy of Ethics

Abstract:

The study aimed at explaining Slavoj Žižek's Philosophy of Ethics. He calls for equality, rejecting injustice. Žižek criticizes all the disadvantages of our contemporary world, and believes that these disadvantages are an inevitable result of capitalism, As Žižek moral philosophy is clearly based on his analysis of the problem's division of reality and virtue, he believes that there is not connection between what is actually happening on the ground and moral ideals. Therefore, Žižek is considered one of the most inclined philosophers to be impartial and objective in governance, he does not deal with racism in judging major crises expect after analyzing the various opinions and view points. He calls for the demise of the unipolar world headed by America until justice is achieved and stability returns to today's world that is nearing collapse and ensure a better future for generations, Žižek discussed the problem of freedom from a realistic perspective, where he explained that there is no real freedom under the capitalist system, which forces individuals to submit to its requirements that do not stop changing always and forever. Its leaders deviated a lot from the principles of Marx among those

leaders: Joseph Stalin, and if those leaders had adhered to the principles of Marx, communism would have been the best representative of human freedom. One final alternative is to do nothing at all, because in reality there is no real freedom

Key words: The foundations of Moral Action, Ethics, Philosophy Of Ethics, Slavoj Žižek